
قصص
بوليسية
للأولاد
لغز الشيخ عمران
Looloo
www.dvd4arab.com

« سفروتة » !

اجتمع المغامرون الثلاثة : « عامر » و« عارف » و« عالية » ، ومعهم الصديق الوفىّ « سمارة » ، على مائدة الطعام بالمنزل الريفىّ الأنيق الصغير الذى يملكه والدهم ، وهو على مشارف بلدة « سنديون »



« عارف »

بمديرية « القليوبية » ، وسط عشرة فدادين مزروعة بالموالح : البرتقال واليوسفى والليمون .

وهذا المنزل هو نفسه الذى جرت لهم فيه مغامرتهم الخطيرة فى « الساقية المهجورة » ، وتوصّلوا بمهارتهم وجرأتهم إلى الكشف عن عصابة تهريب سبائك الذهب الدولية ، والقبض على أفرادها . .

ولذلك كان اعتراض والدة المغامرين شديداً فى السماح لهم بقضاء إجازتهم فى هذا المنزل بمفردهم مرة أخرى . وقالت لهم : كيف أنسى ما حدث لكم هناك فى الساقية المهجورة ؟ ! . .

فقاطعتها « عالية » قائلة : ولكن الساقية رُدمت ! . . وزُرعت مكانها أشجار البرتقال واليوسفى ! . .

عامر : فما الداعى إلى الخوف إذنْ ؟

سمارة : بل أصبح هذا المنزل هو أنسب مكان ننعم فيه بإجازة هادئة ! . .

الوالدة : ومنذ متى قضّيتم إجازة هادئة ؟

عارف : ستكون هذه أوّلها وخاصة بعد أن اتفقتم مع الشيخ « عبد الصمد » أستاذ اللغة العربية ! . .

عالية : لن تكون أمامنا هناك فسحة حتى للّعب واللهو !

عامر : بل سنكرّس كل دقيقة من وقتنا فى استيعاب دروس اللغة العربية ! . .

فقد رأى الوالدان انتهاز فرصة الإجازة السنوية ،

والاستعانة بأستاذ فى العربية لتقوية أولادهما فى لغتهم القومية . ولذلك قرّرا إرسالهم إلى « سنديون » ؛ ليوفّرا لهم المناخ الملائم لتلقّى هذه الدروس ، وسط الحدائق والهدوء ، بعيداً عن صخب المدينة وإغرائها !

وكانت الدّادة « أم محمد » سترافق المغامرين لترعى شئونهم . تعاونها « أم شلبى » فى الطهى والنظافة ، وزوجها « صميدة » ، الذى يستأجر حدائق الفاكهة .

و « أم شلبى » هذه ، وزوجها « صميدة » هما اللذان شاركا المغامرين فى مغامرتهم فى « الساقية المهجورة » ! . .

• • •

بلغت الساعة العاشرة ، عندما كان المغامرون يجتمعون حول مائدة الطعام ، وأمامهم كتبهم وكرّاساتهم ، يجلسون فى انتظار وصول الشيخ « عبد الصمد » . وكان الكلب « روميل » يرقد تحت قدمى « عامر » ، والقط « مرجان » يتمدّد أمام « عارف » على المائدة ، والببغاء « زاهية » تقبع على مسند كرسى « سمارة » .

قال « **عامر** » : بعد أن نظر إلى ساعته : تأخرّ الشيخ « عبد الصمد » نصف ساعة عن موعده ! . .

عالية : سننتظر نصف ساعة أخرى . . وبعد ذلك نحن أحرار فى أن نفعل ما نشاء ! . .

سمارة : وماذا نفعل ؟

عالية : سنذهب إلى حيث كانت الساقية ، لنعاين أشجار البرتقال الجديدة التى زُرعت مكانها .

وفى هذه اللحظة ، دخلت « أم شلبى » وهى مضطربة ، تتبعها « أم محمد » الدّادة ، وقالت : أبلغنى زوجى « صميدة » الآن ، أنه سمع بأنهم نقلوا الشيخ « عبد الصمد » إلى المستشفى !

عامر : الشيخ « عبد الصمد » فى المستشفى ! . . ماذا حدث له ؟

أم شلبى : يقولون : إن الشيخ كان فى طريقه إليكم على حماره عندما جمح به ، وأوقعه على حافة الترعة ، فكُسرت ساقه ! وحملوه بسرعة إلى المستشفى ! . .

ظهر الوجوم على وجه المغامرين لهذا النبأ المفاجئ الذى من شأنه أن يُربك برنامجهم ، وقد يكون سبباً فى رجوعهم إلى القاهرة ! . .

فقالت « عالية » وقد بدا التأثر واضحاً فى صوتها : مسكين الشيخ « عبد الصمد » . . نرجو له الشفاء العاجل . .

عارف : أعتقد أن الشيخ سيحتاج إلى وقت طويل حتى تبرأ ساقه ! . .

سمارة : وقد تمرّ الإجازة علينا قبل أن تلتئم عظامه !

عالية : وماذا نفعل الآن ؟

عامر : نرسل لوالدنا لكى يبحث لنا عن مدرّس غيره !

أم شلبى : ليس فى « سنديون » غير الشيخ « عبد الصمد » !

عامر : أليس غيره فى القُرى والبلدان المجاورة ؟

أم شلبى : يوجد طبعاً . . ولكن المسافة بعيدة عليهم . . وسيقطعون مشواراً طويلاً كل يوم فى الذهاب والإياب . .

عارف : طبيعى أنهم سيرفضون المجىء إلينا ! . .

سمارة : إذن سنقضى إجازتنا هنا كالعادة ! . . فى صيد السمك . . وقنص العصافير . . والسير الطويل وسط الحدائق والغيطان ! . .

• • •

مضى يومان على المغامرين ، وهم يتمتعون بقضاء وقت طيّب فى التنزه وسط الحدائق . . وفى صيد السمك من الترعة . . والعصافير من فوق الأشجار . كانوا فى انتظار وصول تعليمات من والدهم ، بعد أن أخطروه بما حدث للشيخ « عبد الصمد » . .

وفى اليوم الثانى بعد تناولهم الغذاء خرجوا إلى بساتين الموالح لتمضية وقتهم . فجلست « عالية » تحت شجرة برتقال ، وأسندت ظهرها إلى جذعها ، تقرأ بصوت مسموع فى كتاب مطالعة عربية . وجلس « عارف » أمامها يستمع بإمعان إلى قراءتها . على حين جلس « عامر » بالقرب منهم ، يصيد السمك من الترعة . أما « سمارة » فتركهم ليجول وسط البساتين الواسعة .

ولم تمض عليهم بضع دقائق ، حتى أقبل عليهم « سمارة » وهو يعدو بأقصى سرعته ! وصاح وهو يلهث : لقد اكتشفت شيئاً مثيراً وسط البساتين ! . . حزّروا ما هو ؟

فابتسمت « عالية » وبادرته قائلة : فيل !

سمارة : لا . . لا . . فوق شجرة برتقال ! . .

عارف : نسر !

سمارة : صدّقوا أو لا تصدّقوا . . قرد ! . وكان يتحفّز للقفز فوق رأسى !

عالية : ليته فعل ذلك ! . . أنت تبالغ دائماً يا « سمارة » ! .

سمارة : بل هى الحقيقة . . صدّقونى ! . .

عامر : قرد ! . . وما الذى أتى بالقرد فوق الشجرة ؟

سمارة : ربما هرب من أحد « القرداتية » ! وظنّ البساتين غابة استوائية فلجأ إليها ! . .

عامر : هذا معقول . . هيّا بنا معه لنرى صدق قوله . . .

ساروا وراءه وسط البساتين ، وقبل أن يصل بهم إلى

الشجرة المنشودة – سمعوا صوتاً يأتيهم من بعيد وهو ينادى :

« سفروتة » ! « سفروتة » !

توقفوا عن السير ، وأخذوا يتطلّعون هنا وهناك بين الأشجار ، ليكتشفوا مصدر الصوت . وفجأة برز أمامهم صبىّ فى حوالى الخامسة عشرة من عمره . كان الصبىّ أسمر الوجه ، حلو الملامح ، ويرتدى جلباباً نظيفاً أنيقاً . .

فبادره « سمارة » على الفور : هل تبحث عن قرد هارب ؟ . .

فابتسم الصبى ابتسامة عريضة ، وقال : أبحث عن « سفروتة » ! « سفروتة » نسناسة وليست قرداً ! . . وهى لا تهرب منى أبدًا ! . . ولكن من عادتها مداعبتى ، فتختفى عنى لتعود إلىّ بعد قليل ! . .

عامر : وما اسمك ؟ . . وماذا تفعل فى هذه الناحية ؟

الصبى : اسمى « رشدى » . . ووالدى مزارع من « سنديون » . وقد سافر مع والدتى إلى الإسكندرية لأسبوعين ، وتركانى وحيدًا ! . . ويؤسفنى أنى دخلت

عليكم بستانكم ! . . ولكن عمّ « صميدة » مستأجر الحديقة يعرفنى جيّدًا . . ويعرف والدىَ . .

عالية : هذه ليست غلطتك . . « سفروتة » هى السبب ! . .

ولم تكد « عالية » تتمّ جملتها ، حتى سمعوا خشخشة فى أوراق شجرة مجاورة ، وبنسناسة لطيفة دقيقة الحجم ، تقفز فى خفة لتحطّ على كتف « رشدى » . . وكانت ترتدى « شورت » قصيرًا أحمرِ اللون !

ظهر الرعب فى عينى « سفروتة » المستديرتين الصغيرتين عندما رأت هذا الجمع من الأولاد يحيط بصاحبها ، فما كان منها إلاّ أن أحاطت رأسه بكفّيها ، وأخذت تثرثر فى أذنه بهمهمات غير مفهومة !

فضحك « رشدى » وقال للمغامرين : « سفروتة » تسألنى عنكم !

أدرك « عامر » ما يقصده « رشدى » ، فابتسم وقال وهو يشير إلى إخوته : اسمى « عامر » . . وهذه أختى « عالية » . .

وأخى « عارف » . . وهذا هو صديقنا « سمارة » الذى اكتشف « سفروتة » !

رشدى : أرجو أن نتقابل عن قريب . .

عامر : فى أى وقت تشاء . . أنت تعرف محل إقامتنا . . ويكفى أن تصدر لنا صفيراً من حديقة منزلنا إشارة بوصولك ! . .

وهكذا تمّ التعارف بين المغامرين وبين « رشدى » .

• • •

وفى اليوم الثالث بينما كان المغامرون يجلسون على مائدة الإفطار فى التاسعة صباحاً – إذا بهم يسمعون صوت نهيق حمار فى حديقة المنزل ! . . ثم أعقبه صوت طرق السقّاطة الحديدية على الباب .

نهض « عامر » ببطء وفتح الباب ليرى من الطّارق ؟ فإذا به أمام شيخ معمّم بدأه بالحديث قائلاً : أنا الشيخ « عُمران » ! . . أرسلنى صديقى الشيخ « عبد الصمد » لأنوب عنه إلى أن يمنّ الله عليه بالشفاء ! . .

الشيخ الطّيب الوديع ! . . .

« الشيخ عمران »

وقف الشيخ « عمران » أمام المغامرين. يسدّ الباب بقامته المديدة وكتفيه العريضتين . وقد بدا لهم أنه مازال فى عنفوان شبابه ، لا يتجاوز الأربعين من عمره . كما لاحظوا أنه أنيق فى ملبسه ، يرتدى عمامة وقفطاناً وجبّة كلها جديدة ! .

وقف المغامرون احتراماً لأستاذهم الجديد . وبعد أن تطلّع فى وجوههم واحداً واحداً ، قال : أتسمحون لى بالدخول ؟ . .

عامر : تفضّل يا أستاذ . تفضل ياسيدنا الشيخ ! . .

دخل الشيخ « عمران » وجلس على رأس المائدة ، على

حين كانت « أم محمد » منهمكة فى إزالة آثار الفطور . .

الشيخ عمران : كنت فى زيارة صديق الشيخ « عبد الصمد » فى المستشفى على إثر وقوع هذا الحادث الأليم ، فرجانى أن أنوب عنه فى تدريس اللغة العربية لكم ، وقد أعطانى رقم تليفون والدكم فى القاهرة ، فاتصلت به ، ووافق على ذلك ! . .

عارف : هذا يسعدنا جدًّا . . ويؤسفنا ما حدث للشيخ « عبد الصمد » . . .

الشيخ عمران : والمهمّ الآن هو أنى لما كنت أقيم فى « قليوب » فسوف يتعذّر علىّ أن أقطع هذه المسافة الطويلة ذهاباً وإياباً كل يوم على حمارى ! !

سمارة : صحيح هذه مشكلة عويصة . . فما الحلّ ؟

الشيخ عمران : لا ، ليست عويصة كما يبدو لكم ! . . فقد اقترحت على والدكم أن أقيم معكم بالمنزل ! . . فرحّب بذلك ترحيباً شديداً . وقال : إنه يفضل وجودى بجواركم

لمراقبتكم عن قرب ، وأن أحتلّ حجرة الضيوف وهى خالية ! . .

صمت المغامرون طويلاً ، فهم – وإن كانوا يرحّبون بالضيوف – يرون أن فى إقامة الشيخ الدائمة معهم ليل نهار بالمنزل مضايقة لم تخطر لهم على بال !

ولكن ما العمل الآن وهم أمام الأمر الواقع ؟ لا شىء طبعاً ! . .

إنهم لا يعتقدون على كل حال أن هذا الشيخ سوف يقف عقبة فى سبيل تحرّكاتهم ، أو الحدّ من حرّيتهم ! إن الطيبة والبساطة والوداعة المتناهية تبدو على تصرّفاته بكل وضوح !

فما كان من « عامر » إلا أن قال له تأدّباً : على الرحب والسّعة يا أستاذ ! . .

الشيخ عمران : حقيبة ملابسى بجوار الحمار فى الحديقة . . أرجو أن تكلّفوا أحداً نقلها إلى حجرتى . . والآن أقترح أن نبدأ فى إلقاء الدرس الأول بدلاً من إضاعة الوقت فيما لا يفيد ! ما رأيكم ؟

فردّ عليه **الجميع** : أمرك يا أستاذ . .

وماكاد الشيخ « عمران » يبدأ حتى توقف فجأة ، وقال : وما هذا الذى أراه ممدّداً على المائدة ؟

عارف : هذا قطّى « مرجان » ! . . وهو أنيس ولطيف ولا يفارقنى لحظة ! . هل تسمح يا أستاذ بوجوده معنا فى أثناء إلقاء الدرس وإلا أزعجنا بموائه لو أخرجناه ؟ . .

فقال **الشيخ « عمران »** بعد تردّد : لا بأس . .

وبعد أن نظر إلى صوان عال فى ركن الغرفة ، قال : وما هذا الذى أراه فوق الصوان ؟ . .

سمارة : هذه « زاهية » ! . . وهى ببغاء ذكية جدًّا وهادئة . . وسوف تلتقط كثيراً من الدروس ! . هل تسمح بوجودها معنا بالحجرة يا أستاذ ؟ . .

صمت الشيخ « عمران » طويلاً ، ثم أجابه على مضض : لا بأس ! لا بأس ! . .

ولكنه ماكاد يستأنف حديثه ، حتى صرخ فجأة وهو يركل بقدميه ، وينظر شزرا تحت المائدة : أعوذ بالله . .

ما هذا ؟

إذ إن الشيخ « عمران » لم يتنبّه عندما تسلّل « روميل » تحت المائدة ، وأطبق بفكيه وأنيابه على حذاء هذا الشخص الغريب !

نَهَرَ « عامر » كلبه بشدة ، ونهض بسرعة ليطيّب من خاطر الشيخ « عمران » ، فقال له : المعذرة يا أستاذ ! هذا « روميل » . . وهو كلب وديع ! هل تسمح ببقائه معنا ، وإلا أزعجنا بنباحه !

الشيخ عمران : هذه ليست حجرة دراسة ! هذه حديقة حيوانات ! هذا سيرك ! . .

وفى هذه اللحظة بالذات جاءهم صوت صفير « رشدى » عبر النافذة المفتوحة ! . . وهى الإشارة المتفق عليها عند حضوره لزيارتهم . . وفى طرفة عين اندفعت « سفروتة » كالصاروخ من النافذة لتتوسّط المائدة ! وما إن لمحها « روميل » و « مرجان » و « زاهية » ، حتى أطبقوا على هذا المخلوق الدخيل الذى لم يروا له مثيلاً من قبل . .

وحدّث ولا حرج عمّا أصاب الحجرة من هرج ومرج !

وكان صوت الشيخ « عمران » يعلو على هذا الضجيج وهو يصيح : ما شاء الله ! .. أين نحن ؟ .. أفى منزل أم فى غابة !

تبع « رشدى » « سفروتة » إلى الداخل ، ولكنه توقف بغتة بعد أن لمح الشيخ « عمران » والذعر يعتلى وجهه ، فقال له : لا خوف يا سيّدنا الشيخ من « سفروتة » ! فهى نسناسة أليفة ! .

وما لبث الهدوء أن عاد إلى الحجرة بعد قليل ، وجلس الشيخ الطيّب الوديع مستسلماً فى مكانه على رأس المائدة بعد أن استعاد جأشه . وكانت الحيوانات الأربعة تحيط به بعد أن أنست له ! ..

الشيخ عمران : ومن يكون هذا الشخص ؟

عامر : هذا جارنا وصديقنا الجديد « رشدى » .

عالية : هل تسمح له يا أستاذ بأن يبقى معنا فى الحجرة مع نسناسته اللطيفة ؟

الشيخ عمران : ولِمَ لا ؟ .. أليس هو أَوْلى من هذه الحيوانات بالاستماع إلى الدرس ؟

وهكذا استهل الشيخ « عمران » الطيّب دراسته للمغامرين فى هذا الجوّ المروع ! ياله من شيخ مسالم وديع !

* * *

وبعد أن انتهى الدرس ، قال الشيخ : إنه سيذهب لزيارة بعض معارفه ، وسيعود فى المساء ؛ ليبيت ليلته فى المنزل .

وقبل أن يختفى صوت حوافر حماره من الحديقة بدأ النقاش يدور بين المغامرين حول الشيخ « عمران » . .

فقال « **عامر** » : والآن ما رأيكم فى الشيخ « عمران » ؟

عارف : لا أدرى .. لم يحن الوقت بعد لأن نصدر عليه حُكماً صحيحاً . !

عالية : الشيخ رجل طيّب على كل حال .. أليس كذلك ؟

سمارة : بلى .. ألا ترون كيف سمح لحيواناتنا بالبقاء

معنا ! . .

عالية : ومن الغريب أنها تعوّدته بسرعة . . بل أحبته !

رشدى : وأنا بدورى أشكره على السماح لى بتلقّى الدرس معكم . . لقد استفدت كثيراً . . وياحبّذا الأمر لو تكرّرت هذه الدروس ! . .

عامر : ولكن ألم تلاحظوا أن طريقته فى التدريس غريبة ؟ . إنها تختلف تمام الاختلاف وما تعوّدناه فى المدرسة !

سمارة : وما الغرابة فى ذلك ! . . كلٌّ له طريقته فى التدريس .

رشدى : وما برنامجكم اليوم ؟

عامر : لا شىء تقريباً . . وأنت ؟

رشدى : ربما زرت صديقاً لى لم أره منذ فترة طويلة . .

عامر : أين يقطن صديقك هذا ؟

رشدى : فى قرية صغيرة تبعد حوالى نصف كيلو متر عن منزلكم هذا . . قريبة من قصر « عبّاس أغا » ! . .

عارف : آه ! . لقد سمعنا روايات كثيرة عن هذا القصر من « أم شلبى » وزوجها « صميدة » . . ! . .

عالية : ولكننا لم نشاهده عن قُرب !

عامر : يظهر لنا هذا القصر من بعيد كالشبح ، لا حياة فيه ولا حركة ! . . أهو خاوٍ ؟ . .

رشدى : أعتقد ذلك . . فلا أحد يجرؤ على الاقتراب منه ! . .

سمارة : ولماذا ؟ مادام غير مسكون . .

رشدى : لا أعلم لماذا . . ربما نتيجة للإشاعات التى تروج حوله ! . .

عامر : ألم تفكّر ولو مرّة واحدة فى الدّنو منه . . أو دخوله . . لتتيقن بنفسك هذه الإشاعات ؟

رشدى : فكّرت مرّة ! . . وقلت : لماذا لا تتحقق بنفسك من ذلك . . ولكنى عدلت أخيراً !

صمت المغامرون وهم يختلسون النظرات فيما بينهم ! فإذا كان « رشدى » قد عَدَل عن رأيه . . فربّما لأنه كان وحيداً ،

وخاف أن يدخل القصر بمفرده ! . . أما الآن فالأمر يختلف ! . .

إنه ليس وحيداً الآن ! . . فهم معه يؤازرونه ويساندونه ويشجعونه . . فما الذى يمنعهم من دخول قصر « عباس أغا » ؟

وأخيراً نظر إليه « عامر » نظرة ذات معنى ، وقال : والآن ما رأيك ؟ . . أمازلت محجما عن دخول القصر ؟

فأجابه « رشدى » وهو يتظاهر بالشجاعة : وعلى كلٍّ فما الفائدة التى ستعود علينا من دخول قصر مهجور ، منذ أكثر من خمسين عاماً ؟

عالية : وماذا سنخسر ؟

عارف : فلنجرّب . . قد نكتشف شيئاً !

عامر : ونتحقّق من تلك الشائعات على الأقل ! . .

رشدى : لا بأس . . مادامت هذه هى رغبتكم . . متى نبدأ ؟ . . فصاح الجميع فى صوت واحد : الآن ! . . حالاً . . ! . .

قصر « عبّاس أغا »

عندما علمت « أم شلبى » بعزمهم على الذهاب إلى قصر « عباس أغا » – بدا عليها الاضطراب والانزعاج ، وهمست لهم : إياكم والاقتراب منه ! . . الناس هنا يروون عنه حكايات عجيبة ! . .



« رشدى »

فسألتها « عالية » : بماذا يتقوّلون يا أم « شلبى » ؟

أم شلبى : يقولون إن شابًّا دخل هذا القصر ذات مرّة . . ولم يخرج منه حتى الآن ! ومثل هذا قد يحدث لكم ! . . . .

ويقولون أيضاً : إن الأبواب تُقفل وتُفتح دون أن يمسّها أحد ! وإن بعض الرّياش والأثاث القديم مازال فى مكانه حتى الآن ! . . ولابد أن العُثّة قد أتت عليه . . وانتشرت

فيه العناكب والفئران والحشرات ! . . لو كنت فى مكانكم ما ذهبت إلى هذا القصر . . حتى لو دفعتم لى ألف جنيه !

ولكن . . . هل مثل هذه الإشاعات والأراجيف تصدّ المغامرين عن عزمهم على دخول هذا القصر؟ كلاّ بطبيعة الحال ! إذا عقدوا العزم على شىء فلن يقف فى سبيلهم عائق مهما كانت الظروف . . !

فساروا نحو القصر وبصحبتهم « روميل » ، يتبعون دليلهم « رشدى » ، الذى كان يحمل « سفروتة » على كتفه . اخترقوا بساتين البرتقال . . وتوغّلوا فى الغيطان ، حتى لاح أمامهم أخيراً القصر المهجور ! . .

ياله من قصر ضخم منيف . . يقف أمامهم كالحصن المنيع ! تحيط به حديقة واسعة مهملة ينبت فى أنحائها الحشيش والأعشاب الكثيفة ! . .

وقفوا أمام القصر صامتين ساهمين إلى أن قال « عامر » :

إنى أتصوّر الآن ما مرّ على هذا القصر فى سالف العصر من عزّ ورفاهية !

عارف : ولكنه أصبح الآن مقبضاً . . ترفرف عليه سمات الكآبة والحزن ! . .

عالية : إنى لا أشعر الآن برغبة فى دخوله . . والكشف عن أسراره ! . .

عامر : يخيّل لى أن هذا القصر ينطوى على سرّ عائلىّ دفين حزين . . وإلاّ فما هجره أصحابه . . !

رشدى : قد يكون ذلك صحيحاً ! . . إذ يُقالُ ، إن صاحب القصر فَقَد طفليه هنا بعد مرض قصير ، فأصابته صدمة عنيفة ، غادر القصر على إثرها إلى لا رجعة ولا أحد يعلم مصيره ! . . ولكنها إشاعة من بين الإشاعات الكثيرة !

سمارة : إشاعة أو حقيقة . . هيّا بنا ندخل ! . .

عامر : لا وقت لدينا الآن ، سنعود إلى المنزل فالمشوار أمامنا طويل . .

عارف : هذا معقول . . ويكفينا الآن ما شاهدناه . .

عالية : إذن نؤجل دخولنا إلى غد . . بعد انتهاء درس الشيخ « عمران » فى الصباح ! . . .

بعد أن استيقظ المغامرون فى الصباح الباكر نزلوا إلى حجرة الطعام ، ليجدوا الشيخ « عمران » وهو يتربّع فى مكانه على رأس المائدة ! . .

فبادرهم بقوله : صباح الخير : لقد سبقتكم . . فليس أفيد من النوم المبكّر . . والصحو المبكّر . .

وبعد أن انتهوا من الإفطار على عجل ، بدأ الشيخ الدرس فى الحال . وما هى إلاّ ساعة حتى كان قد انتهى منه ، وقال لهم : سأذهب الآن فى زيارة لبعض الأصدقاء فى البلدة . . وقد أتأخر فى المجىء فلا تنتظرونى على الغداء ! .

وبعد أن اختفى عن أنظارهم ، قال « عامر » : ألم تلاحظوا أن الشيخ كان يسرع فى إلقاء الدرس ليخرج ؟ . .

عارف : وما الداعى لهذه العجلة ؟ ألم ينته طيلة الأمس من زيارة معارفه . . ؟

عالية : مع أنه ليس من هذه البلدة ! . .

سمارة : هذا أمرٌ يخصّه وحده ! . . المهمّ أن يغيب عنّا طويلاً لكى يفسح أمامنا المجال لكى نفعل ما نريد ! .

وبعد قليل ، سمعوا صفير « رشدى » فى الحديقة ، و « بسفروتة » وهى تقفز من النافذة إلى المائدة . .

وبعد أن دخل « رشدى » ، قال : أين الشيخ ؟ كنت أطمع فى سماع الدرس ! . .

عامر : قال : إنه ذهب لزيارة معارفه فى البلدة ! . .

رشدى : من الغريب أنى لم أر هذا الشيخ فى « سنديون » مرّة واحدة فى حياتى ! . . فمن أين له بالمعارف والأصدقاء العديدين . . وقد صادفنى العمدة فى الطريق ، فسألته عنه فقال : إنه لم يسمع به !

عارف : الشيخ يدّعى أن له معارف كثيرة !

رشدى : وهل تصدّقونه ؟

عامر : المفروض أن نصدقه . . إلى أن يظهر خلاف ذلك !

رشدى : بدّرت فى المجىء إليكم اليوم ، لأنى فكّرت ربما ترغبون فى زيارة (ثانية) للقصر ! . .

عالية : أليس هذا هو اتفاقنا بالأمس ؟ . . اليوم موعدنا

لدخول القصر ! . .

سمارة : إذن هيّا بنا قبل أن يطبّ علينا الشيخ « عمران » !

* * *

كان اليوم حارًّا قائظاً ، والرياح ساكنة ، عندما وقف المغامرون أمام القصر.

وقالت « عالية » : القصر موحش . . والمكان قفر . . حتى الرياح هجرته ! . . ولا حسّ لزقزقة عصفور . . أو هديل حمامة ! . .

تقدموا بحذر وسط الحشيش والشجيرات الكثيفة إلى أن وصلوا إلى سلّم حجرى يؤدّى إلى الداخل . وكانت درجاته مهشمة ، تنبت فى شقوقها الأعشاب والطحالب . . !

عامر : لا عجب فى أن أصحابه هجروه ! هذا القصر يحتاج إلى ثروة طائلة لترميمه . . !

تسلقوا الدرج حتى وصلوا إلى الباب المصنوع من الحديد المشغول ، تغطيه طبقة من الصدأ الكثيف ، ويلتصق به من

الخلف لوح من الزجاج المصنفر ! . . وكانت النباتات الطفيليّة المتسلقة تفترش معظم جدران القصر من الخارج .

تقدم « عامر » وحاول دفع الباب عبثاً ، فحاول أن يطلّ من ثقب المفتاح فلم يجد له أثراً ! . . فاندهش وقال : هذا عجيب ! . . كيف يغلقون هذا الباب ؟

عارف : بالمزاليج من الداخل ! . .

أطلّ من ثقب مكسور فى الزجاج ، فرأى ردهة واسعة معتمة ، تنتهى بسلم خشبى صاعد إلى الطابق العلوى ، فقال : أرى منظرا كئيباً ! فالغبار وخيوط العنكبوت تملأ الصالة ! وهذا الباب يحتاج إلى « هرقل » ليفتحه !

عادوا أدراجهم وداروا حول القصر ، فصادفوا بعض النوافذ الزجاجية العريضة المحصّنة بالأسياخ الحديدية . وكان زجاجها مغبّراً تعلوه الأقذار ، فتقدم « سمارة » لينظر من خلاله إلى الداخل . . ولكنه ما لبث أن تراجع فى ذعر ، وهو يصيح : أرى أشخاصاً فى الداخل . . !

فتشجعت « عالية » وتسلّلت بحذر نحو النافذة . وبعد أن

ألقت نظرة خاطفة . ضحكت وقالت : يالك من ذكى يا « سمارة » ! . . ما تراه هو خيالنا فى مرآة مكسورة معلّقة على حائط !

داروا ينظرون من خلال نافذة وراء نافذة . فكانت كلها محكمة الغلق . ولكنهم لم يروا سوى آثار الخراب والإهمال ! . .

وكانت « عالية » ترنو إلى أعلى بنظرتها المدقّقة الفاحصة ، وقالت فجأة : انظروا إلى فوق ! . . إلى الطابق العلوى ! . . هل ترون ما أرى ؟ . .

سمارة : أرى نافذة عليها ستارة مهلهلة ! . .

عالية : ولكنها تختلف قليلاً ! ألا ترون أن أحد أسياخها منزوع ! . . وأن جزءاً من زجاجها مكسور ؟ . .

عامر : هذا صحيح . . ربما كانت هذه النافذة هى سبيلنا الوحيد إلى الدخول ! . .

عارف : النافذة مرتفعة جدًّا . . ولا أرى وسيلة إلى الوصول إليها . .

وإذا « بسفروتة » تترك كتف « رشدى » فجأة ، وتتسلق جدار المنزل على النبات المتسلق ، لتقفز منه بخفة إلى « كورنيش » ومنه إلى ماسورة حتى وصلت إلى إفريز النافذة ، وجلست تطلّ عليهم وهى تلوّح لهم بيدها ، وتثرثر بلغة لا يفقهها إلاّ بنو جنسها ! . .

فصاح « **سمارة** » : ليتنى كنت أقدر على القفز مثلها ! . .

فضحكت « **عالية** » وقالت : العجيب أنك لا تقدر . . !

كانوا يراقبون « سفروتة » باهتمام وهى تجلس على الإفريز . وإذا بها تدخل من بين الأسياخ الحديدية وتختفى . !

عالية : أين ذهبت هذه العفريتة ؟

رشدى : دخلت من الفجوة الضيقة المكسورة فى زجاج النافذة ! . . أعتقد أنها عثرت على شىء شدّ انتباهها داخل الحجرة ! . .

عالية : وماذا يمكن أن يثير فضولها فى مثل تلك الحجرة ؟

رشدى : سنرى بعد قليل ! . .



وما أن لمح « روميل » و « مرجان » و « زاهية » « سفروتة » حتى أطبقوا عليها ! ! !

وبعد دقيقة واحدة ، ظهرت «سفروتة» على إفريز النافذة وهى تحمل شيئاً فى يدها ، فصاح عليها « رشدى » وهو يشير بيده إلى الأرض : ألقى بها يا « سفروتة » . . ألقى بها هنا ! .

فما كان من النسناسة الذكية المدرّبة إلا أن ألقت بهذا الشىء ! . . وكان (عروسة) من القماش المحشوّ بالقطن ! . .

سقطت (العروسة) بجوارهم ، وتطاير منها غبار كثيف ! فهجم « روميل » عليها ، وتناولها بين فكّيه ، وسلّمها إلى « عامر » ! .

عالية : (عروسة) ! إنها كانت تخصّ طفلة ! . . أظن أن هذه حجرة أطفال ! . .

رشدى : « سفروتة » تحب العرائس ! . .

عالية : ماذا يا ترى هناك فى هذه الحجرة ؟

وكأنّ « سفروتة » قرأت أفكار « عالية » ، فدخلت الحجرة (ثانية) وخرجت بسرعة ، وألقت بشىء صغير آخر ! . . فكان حصاناً من الخشب الملون ! . .

عامر : وهذا يخصّ طفلاً ! . .

عارف : وهذا يعنى أن الإشاعة صحيحة ! فصاحب الدار كان له طفلان .

سمارة : ناد « سفروتة » ؛ لتنزل يا « رشدى » قبل أن تُفرغ الحجرة من محتوياتها !

وبعد أن هبطت « سفروتة » فى لمح البصر قال « عامر » : لا يدهشنى أن كانت هذه الحجرة مازالت مؤثثة ، وبقيت على حالها منذ غادرها أصحاب الدار ! . .

عالية : وماذا نصنع الآن بالعروسة والحصان ؟ .

رشدى : نعطيها « سفروتة » لترجعها إلى مكانها . .

عامر : هذا عجيب ! . . كم كنا نودّ أن نصل إلى هذه النافذة مثل « سفروتة » ! .

فأجابه « رشدى » بعد تفكير قصير : هذا سهل ، إذا كنتم تريدون حقًّا . . !

حجرة الأطفال !



فوجئ المغامرون بقول «رشدى» هذا ، فقالت «عالية» : طبعاً نريد ! . .

سمارة : ولكن ماذا تقصد بقولك.. . هذا أمر سهل ؟ هل تظننا من متسلقى الجبال ؟

رشدى : إننى أفكّر فى حبل !..

عارف : وكيف نستعمله ؟

عالية : حبل ، وهل تظننى قادرة على تسلق الحبل حتى هذه النافذة العالية ؟

رشدى : لن يحتاج لسوى واحد منّا فقط إلى استعماله ! . .

سمارة : فكيف ندخل إذن جميعاً ؟

رشدى : سنأتى بحبل طويل رفيع متين ! ونحزمه حول وسط «سفروتة» ! وسأعطيها التعليمات بأن تتسلّق النافذة ! وأن تلفّ بالحبل حول أحد الأسياخ ، وأن تهبط به مرة أخرى إلى الأرض . . ! وموزة واحدة كفيلة بأن تنفّذ «سفروتة» جميع طلباتى !

سمارة : هذه فكرة شيطانية ! . وبعد . . .

رشدى : صبرًا . . وبعد ذلك سيتسلق أحدنا الحبل . . ويرى هل يتمكن من فتح النافذة من خلال الزجاج المكسور . . ويدخل الحجرة من موضع السيخ الحديدى المنزوع ، وهو كاف لأن يمرق منه ، ثم يهبط إلى الطابق الأرضى ، ويحاول أن يفتح لنا الباب الحديدى من الداخل ؟

عارف : هذا كلام يسهل قوله ! . . فالقصر تكتنفه الأسرار ، ونحن نجهل حتى الآن ما يحويه من أخطار ! . .

سمارة : ومن القطّ الذى سنعلّق الجرس فى رقبته ؟

فاندفعت «عالية» قائلة : عامر ! . . فهو شجاع ويحسن التصرّف ! . . ويجيد أيضاً تسلق الحبال كبهلوانات السيرك !

فابتسم « عامر » عند سماعه هذا الإطراء ، وقال : هذا أمر سهل كما قال « رشدى » ! . . وأنا متطوّع لهذه المهمة . . .

عارف : إذن اتفقنا . . والآن المشكلة فى العثور على هذا الحبل !

رشدى : هذه ليست مشكلة ! عندنا فى الدوّار لفّة ضخمة من الحبال الرفيعة ، يقتطع والدى منها كلّما احتاج لحزم المحصول ! ثلاثون متراً تكفى ؟ . .

عامر : تكفى جدًّا ! . . موعدنا الغد بعد انتهاء الدرس !

° ° °

وبعد أن انتهى الدرس فى صباح اليوم التالى أسرع المغامرون فى صحبة « رشدى » إلى القصر ، بعد أن خرج « الشيخ عمران » لقضاء مشاويره ! لقد بدأ المغامرون يرتابون فيها ! حتى إن « عارف » اقترح أن يتبعه ذات مرة ليتحقق بنفسه من صدق نواياه !

ولما وصلوا أمام القصر أخرج « رشدى » الحبل الرفيع من

سلّة حملها معه . وكم كانت دهشة المغامرين وإعجابهم « بسفروتة » وهى تنفّذ تعليمات « رشدى » إليها بدقة متناهية ! وذلك بالطبع بعد أن أعطاها « موزة » وحفنة من الفول اسودانى !

وبعد أن أدّت « سفروتة » مهمتها خير أداء تسلق « عامر » الحبل بخفته ومهارته المعهودة . إلى أن وصل أخيراً إلى النافذة ، وجلس على إفريزها ، وأخذ ينظر إلى داخل الحجرة . .

فنادته « عالية » : ماذا ترى يا « عامر » ؟ قل لنا بسرعة ! . .

عامر : هذا غريب جدًّا ! . . أرى غرفة أطفال كاملة ! وأرى مائدة فى الوسط تصطف عليها صحونٌ وأكواب . . وبعض اللعبات والدّمى تتناثر هنا وهناك !

عارف : هل يمكننا أن نتسلق لنلحق بك ؟

عامر : لا . . لا . . مستحيل . . لن تتمكنوا من ذلك . سأرى ما يمكننى عمله . . .



تسلق « عامر » الحبل بخفته المعتادة . إلى أن وصل أخيراً إلى النافذة . وجلس على إفريزها .. وأخذ ينظر إلى داخل الحجرة .

أدخل « عامر » ذراعه من الفجوة ، وعالج الأكرة حتى لفّت معه بصعوبة بالغة ، ودفع النافذة فانفتحت ! . . ومرق إلى داخل الحجرة ، على حين كان الجميع ينظرون إليه فى لهفة وتطلّع ! . .

كانت حجرة واسعة مفروشة بسجادة تهرّأت بفعل الزمن والأتربة والعُثّة . وتتوسطها مائدة ومقاعد صغيرة منخفضة ، يغطيها مفرش كان فى يوم من الأيام أبيض اللون ! . . وفى ركن من الحجرة وجد حصاناً خشبيًّا ملوّناً ، مثبّتاً على قاعدة مقوّسة . تقدّم منه « عامر » وهزّه ، فتأرجح وصدر عنه صرير ضعيف يشبه الأنين ! فسرت القشعريرة فى بدنه ، عندما تذكّر أن طفلاً كان يمتطى هذا الحصان فى يوم من الأيام معتقداً أنه فارس مغوار . . !

دلف « عامر » من الباب المفتوح إلى حجرة أخرى . وجد بها مَهْدَين متجاورين ، وصواناً يحتوى على ملابس . مدّ يده إلى رفّ وتناول منديلين صغيرين ، فوجد على ركن واحد منهما تطريزاً باسم « عمْرو » ، وعلى الآخر باسم

« فادية » ! . . إنهما اسما الطفلين بلا شك !

خرج مسرعاً إلى غرفة أخرى أنيقة مرتبة ، يتوسطها سرير واحد ، لابد أن تكون هذه حجرة المربية ! . .

وكان « عامر » يجول وسط هذه الحجرات المهجورة التى ردمتها الأتربة ، وقد نسى نفسه حينما أفاق من ذهوله على أصوات تتعالى من أسفل : أين أنت يا « عامر » ؟ . . ماذا تفعل كل هذا الوقت ؟ . . . . هل وجدت شيئاً ؟ . .

فرجع « عامر » إلى النافذة ، وأطلّ عليهم صائحاً : انتظرونى . . سأحاول أن أفتح لكم الباب . . سترون عجباً ! . .

• • •

كان « عامر » يشق طريقه وسط خيوط العناكب التى تتدلّى من السقوف . كما كانت سحب الغبار تتطاير من تحت قدميه تكاد تخنقه ، وهو يسرع الخطى فى طريقه المعتم من الطابق العلوى عبر السلّم المؤدى إلى الباب الحديدى العريض .

لم يكن من السهل إزاحة المزلاج الحديدى الضخم الذى علاه الصدأ من مكانه ! ولكنْ « عامر » تمكّن من ذلك أخيراً بعد جهد خارق ! . .

وكانت أشباح المغامرين تبدو له واضحة من خلف زجاج الباب المصنفر ، وهم فى انتظاره فى (القرندة) الخارجية . .

وما كاد « عامر » يفتح لهم الباب ، وتطلّ منه « عالية » على ضوء الشمس الذى تسرّب إلى الداخل – حتى صرخت : انظروا ! . . أهذا قط ؟

فضحك « رشدى » وقال لها مطمئنا : بل فأر ! لا تخافى يا « عالية » . . هذا من فئران الغيطان ! إنها فى حجم القطط الصغيرة ! . .

عالية : أنا لا أحبّ هذا المكان . . إذا كان هذا شأنه هنا . . فما بالكم بالداخل . . وخاصة فى الطابق العلوى ! . .

عارف : لم تخبرنا يا « عامر » ماذا اكتشفت ؟

قصّ عليهم « عامر » ما شاهده ، وقال : يحسن بنا أن

نصعد إلى جناح الأطفال . . فالضوء هناك كافٍ . . ويمكننا أن نستريح على المقاعد . .

ارتقوا السلّم ، ووقفوا عند باب حجرة الأطفال . كانوا ينظرون فى صمت ورهبة إلى العرائس والدمى . . وإلى المائدة الصغيرة المهيأة لتناول وجبة . . وإلى الحصان الخشبى . . إنه مازال يقف فى مكانه فى انتظار من يمتطيه . . !

وأخيراً قطع « عامر » حبل الصمت ، وقال : هذه الحجرات تُركت على حالها فجأة منذ زمن طويل !

عارف : ولم تمسسها يد بعد ذلك حتى هذه اللحظة !

عالية : هل تظنون أن أحدًا غيرنا يعلم بوجودها ، أو دخلها قبلنا . . ؟

عارف : لا أحد ! . . حتى بقايا الطعام مازالت على المائدة الصغيرة ! . . والأهم من ذلك أنه ليست على التراب آثار أقدام غير آثارنا . . !

وكان « عامر » يفكر طوال الوقت فى صمت إلى أن فاجأهم بقوله : وهذا من شأنه أن يسهّل علينا مأموريتنا ..!

إن السرّ الذى يكمن فى هذا القصر أخطر من أن أشرككم فيه معى فى هذه المرحلة ! ولذلك نويت أن أبدأ وحدى ! . .

عالية : وحدك ! . . وهل تظن أننا سنتركك وحدك ؟

عارف : ماذا تنتويه يا « عامر » ؟ . .

عامر : فكّرت فى أن أبيت ليلتى فى القصر ! وحجرة المربّية مناسبة ! . . ربما اكتشفت شيئاً فى أثناء الليل !

عالية : لا ، فهذا مستحيل ! لن نسمح لك بذلك ! سوف يساورنا الخوف والقلق عليك فى كل ثانية ! . . وسيزحف العنكبوت على وجهك طول الليل ! . .

سمارة : ويقرضك فأر الغيط من أنفك ! . .

عامر : تعلمون جيدًا أنى لا أخاف العناكب والفئران ، ولا آبه بمثل هذه الأشياء التافهة ! . .

وبعد أن ألقى نظرة طويلة على « سمارة » قال له : وما رأيك فى أن يقرض فأر الغيط أنفك أنت أيضاً ؟

سمارة : وما دخلى أنا فى هذا الموضوع ؟ .

عامر : لأنك ستكون فى صحبتى أنت و « زاهية » ! فقد نحتاج إلى معونتها فى إيصال رسالة عاجلة إلى منزلنا ، إذا ما حاق بنا الخطر ! . .

سكت الجميع أمام إصرار « عامر » ، فهم يعلمون أنه إذا صمّم على أمر فلن يثنيه عن عزمه شىء .

قال « **رشدى** » : إذا كان الأمر كذلك . . فسأترك معك « سفروتة » أيضاً ، بعد أن تعودتك وألفتك ! . . ومن يدرى ؟ قد تنفعك بذكائها وخفّة حركتها وقت المآزق ! . .

سمارة : وكيف نقيم فى هذه الغرفة المعفّرة المتربة ؟

عالية : لا عذر لك يا « سمارة » ، وهذه حجج واهية ! سأقوم بنفسى على نظافتها وترتيبها ! . . لنبحث الآن عن منفضة ! . .



الصّوت المدوّى الغامض !

كان الوقت ظهراً عندما تأهب المغامرون لمغادرة القصر ، فقال « عامر » : سنرجع الآن إلى منزلنا ؛ لئلا تقلق علينا « أم محمد » و « أم شلبى » . . وسنترك الباب الحديدى كما هو . فلا أحد يأتى ناحية هذا القصر . . فلا خوف من تركه دون إقفاله بالمزلاج !

عامر

سمارة : وهذا عين العقل ! . . وبذلك نتفادى من تسلّق الحبل للدخول من النافذة العلوية ! . .

كان الشيخ « عمران » متغيّباً عندما وصلوا إلى المنزل ، ولكنهم وجدوا « أم محمد » فى انتظارهم على الباب فى قلق بالغ . فصاحت فيهم : أين كنتم ؟ كنت على وشك أن أخطر

(النقطة) عن غيابكم ! . .

عالية : لا تقلقى علينا يا (دادة) ! فنحن لم نعد أطفالا !

* * *

وفى التاسعة مساء ، وبعد الاطمئنان على غيبة الشيخ « عمران » ، ودخول « أم محمد » إلى مخدعها – تسلّل « عامر » و « سمارة » فى خفّة نحو القصر الغامض ! . .

وكان « عامر » يحتضن « سفروتة » ، و « سمارة » يحمل « زاهية » على كتفه ، ويتزوّدان ببطارية قوية ، وببعض أصابع الموز والفول السودانى « لسفروتة » . . وبذور عبّاد الشمس « لزاهية » !

لم يبق بالمنزل بعد ذهابهما ، غير « عارف » و « عالية » .
وكان « روميل » ينبح ويزوم ويجرى هنا وهناك بحثاً عن « عامر » . وكانت « عالية » تحدّث أخاها بصوت يرتجف من شدة الإثارة والتوتر : أتظن أنهما يرقدان الآن بسلام فى القصر . . ؟

فيجيبها « عارف » بصوت رزين ليطمئنها : **لا تقلقى** يا « عالية » . . . سيستغرقان فى نوم عميق حتى طلوع الشمس ! . .

وفعلاً . . . كان « عامر » و « سمارة » يستغرقان فى هذا الوقت فى نوم عميق على سرير المربّية ، بعد أن نظفته ورتّبته « عالية » ! على حين كانت « سفروتة » ترقد فى حجرة الأطفال فى مهد « عمرو » . أو هو مهد « فادية » ؟ . . ربما . . و « زاهية » تعلو صوان الملابس قريباً من « سمارة » . .

ثم ابتدأت الأحداث فجأة !

فقد هبّ « عامر » مذعوراً من نومه ، ليجد « سفروتة » تقبع فوق صدره ، وتحيط رقبته بذراعيها ، وتثرثر فى أذنه ، وهى ترتعد من شدة الخوف ! . .

جلس « عامر » وهو يحتضن « سفروتة » ، وأخذ يحدّثها كأنه يحدّث آدميًّا : ماذا حدث يا « سفروتة » . . ما الذى أزعجك . . ؟

وصحا « سمارة » على صوت الجلبة ، وقال : ربما شعرت

« سفروتة » بالوحدة . . . فجاءت لتأتنس بنا ! . .

وكانت « زاهية » تقف أعلى الصوان وهى تصيح : « زاهية » مسكينة . . « زاهية » مسكينة ! . . .

عامر : أعتقد أن صوتاً ما أفزعها ! . .

سمارة : صوت مَنْ ؟ لم يدخل هذا القصر سوانا ! . .

جلسا على الفراش وهما يتصنتان ويمعنان فى السمع ، لقد خُيل لهما أنهما يسمعان صوتاً ! . . أصوتٌ حقيقة هو أم وهْمٌ هيّأته لهما رهبة المكان . . ؟ .

لابدّ أنه الوهْم ، فعاودا الرقاد ، و « سفروتة » مازالت تتعلق برقبة « عامر » ، بعد أن رفضت بإلحاح مغادرة الفراش .

ولكن لم تمض عليهما برهة قصيرة حتى قفزا من فراشهما على صوت مدوٍّ ! . إنه ليس وهماً هذه المرّة ! . .

سمارة : ما الذى أتى بنا هنا ؟ . . هذه هى مشورتك يا « عامر » ! . . ما هذا الصوت ؟

عامر : ربما دفعت الرياح الباب الحديدى ففتحته ! . .

سمارة : هذا مستحيل ! . . فالرياح ساكنة ! . .

عامر : ما رأيك ؟ . هل نذهب لنكتشف مصدر هذا الصوت ؟

سمارة : كيف نذهب فى منتصف الليل لنجوس خلال الطرقات المظلمة والحجرات المهجورة والسلالم المتربة . . والعناكب والفئران . . !

عامر : على كل حال إذا عاد هذا الصوت مرة أخرى فسأذهب بنفسى لأرى مصدره . . مهما كانت الظروف !

ثم عاودا النوم ، ولم يعد يُسمع فى الحجرة غير صوت ثرثرة « زاهية » ، وهمهمات « سفروتة » التى كانت لاتزال تتعلّق « بعامر » .

• وهكذا ناما حتى الصباح ؛ ليستيقظا على أول خيط من ضوء الشمس وهو يتخلّل النوافذ . فنهضا بسرعة ، وغادرا القصر إلى المنزل ، قبل أن يتنبه الشيخ « عمران » و « أم محمد » إلى اختفائهما ! . .

وبطبيعة الحال لم يفت « عامر » قبل مغادرته القصر –

أن يتفحص آثار الأقدام على الأرضيات المتربة ! فلم يجد غير آثار أقدامهم التى خلفوها !.. حتى أقدام « سفروتة » ، ها هى ذى تبدو من بينها واضحة مميّزة ! . .

كما كان الباب الخارجى محكم الغلق ! . . إذن لم يكن هذا الباب هو مصدر الصوت المدوى الذى أفزعها فى بهيم الليل ! . .

فما مصدره إذن ، والشواهد تقول : إنه لم يدخل أو يخرج أحد من القصر غيرهم ؟ هذا لغز تحير فيه « عامر » !

• • •

كان الشيخ « عمران » و « أم محمد » مازالا يستغرقان فى نومهما ، عندما وصل « عامر » و سمارة إلى المنزل فى السادسة صباحاً . أما « عارف » و « عالية » و « روميل » و « مرجان » فكانوا فى انتظارهما قبل بزوغ شمس الصباح . فكان بينهم لقاء حار ، تبودلت فيه الأحضان والقبلات .

وكالعادة.. انهالت الأسئلة على « عامر » من « عالية » ! .. كيف أمضيا ليلتهما فى هذا القصر الموحّش

المهجور ؟ . . وهل سمعا أصواتا كما يُشاع أو اكتشفا سرًّا جديدًا ؟ . . وهل . . ؟ وهل . . . ؟

روى « عامر » ما حدث ، وكيف أن « سفروتة » أيقظتهما بعد أن أفاقت من نومها مذعورة على صوت عجيب مفاجئ يدوى فى أرجاء القصر ! . .

عارف : ربما كان صوت باب يُقفل ؟

عامر : أبدًا . . فقد تيقنا ذلك قبل مغادرتنا القصر ! .

عالية : ربما دخل أحدهم القصر؟

سمارة : لا ، فلم نعثر إلاّ على آثار أقدامنا وأقدامكم فقط فوق الأتربة المتراكمة ! . .

عارف : هذا عجيب ! . . هناك سرّ مبهم خطير يكتنف هذا القصر ! .

عامر : وأعتقد أن الكشف عنه سوف يحتاج منا إلى خوض مغامرة خطيرة !

عالية : وهل أمامنا وقت للمغامرات والشيخ « عمران » لنا بالمرصاد ليل نهار؟

وإذا بالشيخ « عمران » يهلّ عليهم بطلعته ، وهو يقول : أرى أنكم جميعاً فى انتظارى ! هيا بنا لنبدأ الدرس ..

وكان الشيخ معجباً بالسهولة والتعمّق الذى يستوعب به هؤلاء الأولاد دروسه ! . . ويعجب للهدوء والاستكانة التى يتقبّلون بها أوامره وتعليماته بالرغم من تحذير « أم محمد » له بأنهم على قدر كبير من الشقاوة . . !

ولكن فى الوقت نفسه ، كان للمغامرين رأى آخر فى الشيخ « عمران » ! كان رأيهم فيه أنه ليس على مستوى عال فى التدريس . . والتبحّر فى اللغة العربية !

قال « **عامر** » : ألم تلاحظوا أنه كثيراً ما يخطئ فى النحو ؟

عالية : لاحظت ذلك ، فهو ينصب الفاعل ويرفع المفعول فى بعض الأحيان . . !

سمارة : وكيف يتأتّى ذلك وهو مدرّس للغة العربية ؟

عامر : وهذا هو وجه الغرابة . . ومما يثير الشك !

وكان الشيخ « عمران » يتابع الدرس بهمّة ، والمغامرون ينصتون له باهتمام ؛ لعلّهم يكتشفون له بعض الأخطاء

اللغوية !

وفجأة بادره « عامر » بالسؤال : لاحظنا أنك مهتمٌّ يا أستاذ بالتنزه والسير الطويل ! . .

الشيخ عمران : نعم . . نعم . . هذه هى هوايتى !

عالية : ولكن ليس فى هذه الناحية غير المزارع والغيطان !

عارف : ولا شىء فيها يستحق الزيارة . . فأين تذهب ؟

الشيخ عمران : على العكس ؛ ففى هذه الناحية الكثير مما يستحق المشاهدة ! فأنا أداوم على زيارة بلدة « سنديون » . . . وأتنزه على شطّ الترعة . . .

ثم صمت قليلاً ، وقال : وبالأمس زرت هذا القصر المهجور الذى يطلقون عليه قصر « عباس أغا » !

يالها من مفاجأة غير سارة لم تكن لهم على بال ! الشيخ « عمران » زار القصر المهجور ! هل يكون قد اكتشف آثار أقدامهم حول القصر أو داخله ؟

عالية : وماذا تزور فى هذا القصر ؟ إنه مهجور !

عامر : ولا نعتقد أن به شيئاً يستحق المشاهدة . . .

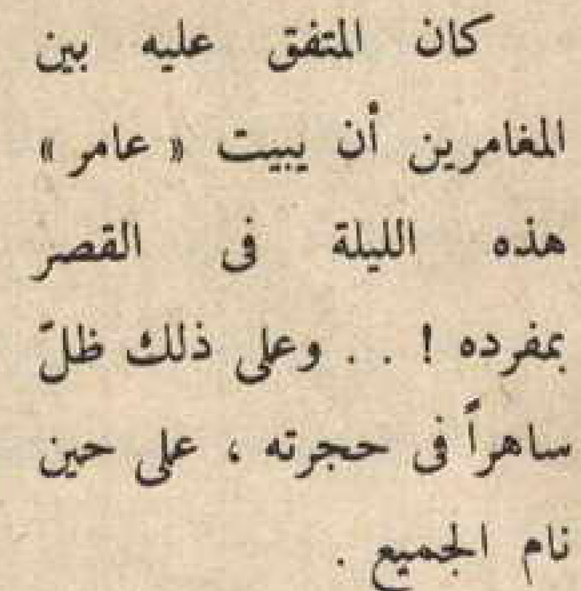
عارف : هذا القصر عبارة عن خرابة والشائعات المخيفة حوله كثيرة ! احذر يا أستاذ وإلا أصابك منه مكروه !

الشيخ عمران : أنا أخالفكم فى الرأى . . فهو قصر تاريخى ! . . ليتنى أتمكّن من دخوله واستطلاع خفاياه . . !

وكان هذا التصريح الأخير هو أسوأ ما سمعوه من الشيخ ! . . وكان « عامر » يفكّر فى هذه اللحظة : أليس من الأصوب أن يقفل الباب الخارجى بالمزلاج من الداخل ، حتى يصدّ الشيخ عن الدخول ؟ . وفى هذه الحالة عليه أن يرسل « سفروتة » بالحبل إلى النافذة العلويّة لحجرة الأطفال ، كلّما عنّ له هو أو إخوته دخول القصر . . !

يالها من مضايقة شديدة سوف يسبّبها لهم تدخّل هذا الشيخ ! . . ومن الآن فصاعداً . . ما عليهم إلاّ أن يأخذوا حذرهم من الشيخ « عمران » ! وأن يراقبوه مراقبة الظل لصاحبه ! فقد تأكد لهم أن وراءه سراً مريبًا بعد أن كانوا يرتابون فيه . .

اللّغز المثير !





« الشيخ عمران »

كان المتفق عليه بين المغامرين أن يبيت « عامر » هذه الليلة فى القصر بمفرده ! . . وعلى ذلك ظلّ ساهراً فى حجرته ، على حين نام الجميع .

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة مساء ، وكما عوّدهم الشيخ « عمران » كان المفروض أن يكون فى مخدعه منذ ساعة مضت على الأقل . . وكذلك « أم محمد » ، أما « أم شلبى » فهى تقضى الليل عادة فى بيتها مع زوجها « صميدة » .

تسرّب « عامر » بخفة وحذر بعد أن اطمأن على نوم المغامرين . وكان « روميل » يسير فى أعقابه ، يهز ذيله فرحاً

لخروجه من المنزل إلى الخلاء ! . .

سار سيراً حثيثاً صوب القصر ، إلى أن لاح له شبحه ، يربض أمامه شامخاً وسط المزارع ، كان القصر يبدو له فى هذه الليلة أكبر حجماً مما كان عليه فى الأيام الماضية !

وقف أمام شبح القصر صامتاً . ثم بدأ يصدر صفيراً خافتاً من فمه ليبعد عن نفسه الشعور بالوحدة ! . . إنه ليس جباناً . . ولكنها الرهبة التى تملّكته وسط هذا الظلام الدامس المخيف ! . .

وإذا به يكفّ فجأة عن الصفير ، ويقبض على الطوق الذى يلتفّ حول رقبة « روميل » ليمنعه عن الحركة أو النباح ! . .

لقد شاهد ضوءاً قُرب القصر ! كان يحاول أن يخترق الظلمات ببصره ؛ ليتيقن هذا الضوء الذى يتحرك هنا وهناك . . . وكأن صاحبه يبحث عن شىء . !

لقد تأكد له الآن أنه ضوء بطارية ! . . من يكون هذا الشخص ؟ . ومن تسوّل له نفسه أن يحوم حول هذا القصر

المهجور فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل ؟ . . أيكون « رشدى » و « سفروتة » ؟ . . لا . . هذا مستبعدٌ ! . . أيكون أحد (المتشردين) يبحث عن وسيلة لدخول القصر ؛ ليمضى فيه ليلته ؟ هذا جائز !

فتحرك « عامر » ببطء وهو يتبع هذا الضوء عن كثب بعد أن تبيّن له أن صاحبه يتفحّص النوافذ والأبواب . . !

وفجأة ورد على ذهنه خاطر مزعج ! . . ماذا لو عثر هذا الغريب على الباب الحديدى ؟ فما عليه إلاّ أن يدفعه لينفتح أمامه على مصراعيه ! . . وعندئذ . . هل يدخل هذا الغريب القصر ؟

تجرّأ « عامر » وتسلّل على أطراف أصابعه حتى اقترب قليلاً من الضوء . وإذا به يتوقف وقد اتسعت حدقتاه من فرط الدهشة ، وتسمّرت قدماه من هول المفاجأة . . !

لم يكن هذا (المتشرّد) الغريب الذى يتفحّص النوافذ والأبواب . . ويحوم حول القصر المهجور ببطاريته فى ظلام الليل ؛ ليبحث له عن ملجأ يأويه كما كان يظن . . سوى

الشيخ « عمران » !

إنه لا يصدّق نفسه ! . . ولكن ها هو ذا الشيخ « عمران » يقف أمامه الآن بلحمه ودمه . !

* * *

تحير « عامر » أشدّ الحيرة عندما فوجئ بالشيخ « عمران » أمامه ! ما الذى أتى به إلى هذا المكان وهو المفروض أن يكون الآن نائماً فى فراشه ؟ . .

حقيقة إن لغز الشيخ « عمران » فى رأيه يفوق فى غموضه ما يدور حول هذا القصر من شائعات وأسرار ! . .

قرّر « عامر » أن يعمل بسرعة ، فرأى أن يدخل القصر منتهزاً فرصة ابتعاد الشيخ إلى جهته الخلفية ، وأن يغلق الباب بالمزلاج من الداخل ! . . وهكذا لن يتمكن الشيخ من الدخول مهما حاول ! . . اللّهم إلا إذا تسلّق جبلاً إلى النافذة العلوية ! ولكن لن يستطيع طبعا . .

وقف « عامر » فى الداخل وراء زجاج نافذة يراقب الشيخ « عمران » وهو يصول ويجول ببطاريته . ولكن لم

تمض عليه برهة وجيزة حتى تردّد الصوت المزعج المدوّى بغتة فى أرجاء القصر ، واستمر فى دويّه بعض الوقت !

جفل « عامر » وشعر بالاضطراب ، وفكّر فى أن يصعد إلى حجرة الأطفال ، وأن يغلق بابها عليه بالمفتاح ! . . ولكنه عدل عن رأيه ، لأنه كان يتحرّق إلى اكتشاف حقيقة الشيخ « عمران » ! والأهم من ذلك ، إلى معرفة مصدر هذه الأصوات المبهمة ! . . إنه يعتقد أنها تأتى من أسفل ! . . ربما من بدروم . . أو قبو . . أو سرداب ! . . فمثل هذه البيوت الأثرية تمتلئ عادة بالبدرومات والأقبية والسراديب . . أو ربما من تحت الأرض ! هذا جائز أيضاً !

كان يجول ببصره من خلال النافذة بحثاً عن الشيخ « عمران » . ولكن ضوء بطاريته اختفى الآن تماماً ! . . أين ذهب الشيخ ؟ لابد أن دوى الصوت وصل إلى سمعه أيضاً ! . . فهل توارى فى مكان ما بين شجيرات الحديقة أو انصرف إلى حال سبيله ؟ . .

وفجأة هتف « عامر » لنفسه : آه لماذا لم أفكّر فى ذلك

من قبل؟ أيكون الشيخ عمران ضالعاً فى هذه المسألة، وأنه لحِقَ الآن بمن يصدرون هذه الأصوات؟ على الأرجح أن هذا هو سبب مجيئه إلى القصر هذه الليلة!.. نعم.. لقد جاء الشيخ لينضم إلى أصدقائه فى مكان ما بالقصر...!

حار «عامر» فيما يفعل الآن بعد أن هدأت الأصوات، وخيّم على القصر سكون مخيف، واختفى كل أثر للشيخ «عمران»!..

ولأول مرة تملّكته الرهبة بعد أن وجد نفسه وحيدًا فى الظلام، لا يجرؤ على الحركة، أو إضاءة بطاريته؛ لئلا يفضحه ضوءها! فأخذ يفكّر فى هدوء وروية..

كان عليه أن يختار بين مغادرة القصر فى الحال.. أو الصعود إلى حجرة الأطفال وإقفال بابها عليه بالمفتاح.. أو... البحث عن مصدر الضوضاء التى تأتى من باطن الأرض!.

فوقع اختياره على الرأى الأخير دون تردد!.. كيف تفوته هذه الفرصة الذهبية. وهو أمام لغز مبهم مثير قد

يكشف حلّه عن الغموض الذى يحيط بهذا القصر، ويضع حدًّا للشائعات التى تدور حوله؟

تسلّل بخفة فى اتجاه يظن أنه يؤدى إلى المطبخ. تشجّع وصوّب الضوء، فلم يجد أثراً لبصمات أقدام على الأتربة الكثيفة التى تفترش الأرض الحجرية! فتركه إلى حجرة مجاورة وجد بها حوضاً رخاميًّا.. وبالوعة.. وطلمبة لرفع المياه علاها الصدأ. ربما كانت حجرة الغسيل. ولم يجد بها أيضاً أى أثر لوقع أقدام!

حقيقة هذا شىء محيّر!.. كيف إذن تجىء هذه الأصوات من هذا الاتجاه؟ وكيف يكون للشيخ «عمران» دخل فى ذلك ولا أثر يدلّ على وجوده فى هذا المكان؟ هذا أمر يحتاج إلى إيضاح من الشيخ نفسه!...

إنه سوف يستدرجه غداً بلباقة فى أثناء إلقاء الدرس.. لعلّه يفصح له عن بعض ما خفى عليه!.. أما الآن فسيصعد مع «روميل» إلى الطابق العلوى ليبيت ليلته حتى الصباح.

كان التعب يبدو واضحاً على وجه الشيخ « عمران » هذا الصباح ، ولم يبكّر كعادته فى بدء الدراسة ! وكان « عامر » فى انتظاره بالمرصاد ! . .

وكان « عامر » قد قصّ على المغامرين أحداث الليلة الماضية ، وشكّه فى تصرّفات أستاذهم المريبة ! . وكانوا يستمعون إلى روايته وهم غير مصدّقين ! الشيخ « عمران » يحوم حول القصر فى منتصف الليل ، هذا مستحيل ! . . وإن صحّ فهو أمر يدعو إلى الدهشة والتساؤل ! . . ولماذا يخفى عنهم هذه الجولات الليلية الغامضة ؟ . . ألا تكفيه مشاويره النهارية ؟

استهلّ الشيخ « عمران » الدراسة باعتذاره عن تأخره هذا الصباح . فبادره « عامر » بالسؤال : هل قضيت ليلة هادئة يا أستاذ ؟

فأجابه الشيخ وقد بدت عليه الدهشة . نعم . . هادئة جدًّا ! .

عامر : أما أنا فقد استيقظت مراراً . . بعد أن أصابنى

القلق ! . . هل سمعت أصواتاً ؟

الشيخ عمران : أصواتاً ! أى أصوات ؟

عامر : مجرّد أصوات ! ربما كنت مستغرقا فى النوم فلم يصلك منها شىء ! . .

الشيخ عمران : هذا صحيح . . رحت فى سبات عميق حتى أنى تأخّرت فى الصحو من النوم !

ثم نادى الشيخ « أم شلبى » وسألها أن تناوله كوباً من اللبن ! . .

ياله من ماكر ! . . إنه يريد أن يغيّر مجرى الحديث ! . . ولكنْ « عامر » لم يمهله ، ففاجأه بقوله : خُيّل إلىّ أنى سمعت وقع أقدام تجول فى المنزل وخارجه فى أثناء الليل . . هل من عادتك يا أستاذ أن تسير فى أثناء نومك ؟ .

فأجابه **الشيخ** باقتضاب : لا ، لا . . علىّ (بفنجان) من القهوة يا « أم شلبى » ! . .

عامر : إذن من كان يسير فى الليلة الماضية ؟ هل أنت يا « عارف » ؟ أو ربما كان « سمارة » ؟ . . أو هل أنت

يا « عالية » ؟

فأجابه الجميع : لا ، لا ، لم نغادر فراشنا ! . .

وهذا ما كان يرمى إليه « عامر » ! لقد تأكد له الآن أن الشيخ « عمران » يريد أن يخفى عنهم تحركاته ومهامه الليلية ! إنه يودّ أن يحتفظ بهذا السرّ لنفسه ! لا بأس ! . . هذا شأنه وحده ! فى الوقت الحاضر على الأقل !

وبعد أن انتهى الدرس ، وذهب عنهم الشيخ للقيام ببعض جولاته الغامضة — أخذ المغامرون يتضاحكون ويتندّرون على المحاورة الكلامية البارعة التى جرت بين « عامر » والشيخ « عمران » .

عالية : هذا واضح ! . . إنه يخفى عنا شيئاً هامًّا ! .

سمارة : كان فى إمكانه أن يقول بكل بساطة . . إنه شعر بأرق . . وذهب ليتمشى قليلاً . . !

عالية : ولكن كيف يتمكن الشيخ من دخول القصر . . ؟

عامر : ربما عن طريق سرّى آخر لم نكتشفه بعد ! . .

سأقضى الليلة فى القصر . . وسأرى هل الشيخ سيظهر هناك مرة أخرى ؟

عالية : لا يا « عامر » ! سنأتى معك فنحن لا نعرف شيئاً عن هذا الشيخ حتى الآن ! ولا يوجد مبرر لذهابك وحدك !

عارف : صحيح هو يبدو لنا طيّباً ساذجاً ! . . ولكنه قد يكون فى الحقيقة أخطر مما نظن ! . .

عامر : لا مانع من ذهابكم معى على أن تتركونى فى القصر بمفردى قبل حلول الظلام . . فإن لى هدف من وراء ذلك . .



الجولة الكشفية المُثيرة !

وصل المغامرون إلى القصر فى الثانية بعد الظهر ، للقيام بجولتهم الكشفية ! . . وكانوا يصحبون معهم الثلاثى الذى لا يفارقهم : « روميل » و « مرجان » و « زاهية » : فالكلب الأمين سينبههم بغريزته إذا ماأحاق بهم الخطر ! . . والببغاء الذكية يمكنها أن تطير لهم برسالة إلى الخارج ، إذا ما وقعوا فى مأزق أو كمين ! أما القطّ الشقىّ فكانت وظيفته حمايتهم من مضايقة فئران الغيطان السمينة ! . .

« سمارة »

ومع أنهم كانوا يدركون مدى هذه المخاطرة فإن التوقّعات والآمال العريضة كانت تدفعهم إلى القيام بها رغماً عن

خطورتها ! . .

ماذا ياترى عساهم يعثرون عليه فى هذا القصر الأثرى الغامض ؟

قادهم « عامر » إلى المطبخ ، ومنه إلى حجرة الغسيل الواسعة . إنهم يعتقدون أن الأصوات تأتى من هذه الناحية . . ومن باطن الأرض بالذات .. من قبو أو سرداب أو ما أشبه ! . .

كانوا ينهمكون فى البحث عن أى دليل أو أثر يقودهم إلى الكشف عن الطريق إليها . ولكنهم عجزوا عن ذلك . .

وكان القط « مرجان » مشغولاً عنهم بمطاردة عنيفة لفأر سمين ، هرب منه إلى شقّ فى ركن من الحجرة ! . . وكانت هذه المطاردة تثير الغبار الكثيف ، حتى إن « عالية » شعرت بالاختناق ! فذهبت إلى « مرجان » لتنهره وتنهاه عن هذه المطاردة ! . .

وهناك فى ركن مظلم كانت تنتظرهم المفاجأة الكبرى ! . . إذْ كشف الغبار المتطاير تحت أقدام

« مرجان » ، عن حلقة حديدية مثبّتة فى بلاطة حجرية كبيرة مربّعة ! . .

فصاحت « عالية » من الدهشة : انظروا ! لقد كشف لنا «مرجان» عن شىء عجيب . . !

تكالب المغامرون على الحلقة ، وكأنهم عثروا على كنز ثمين ! . فقال « عامر » : ها قد وقعنا أخيراً على مفتاح السرّ ! . . أعتقد أن هذه البلاطة ستكشف لنا عن مدخل أو درج يؤدى بنا إلى أسفل ! .

عالية : إنه يشبه تماماً مدخل الحجرة السرية لقصر « بحيرة قارون » ! هل تذكرون مغامرتنا هناك ؟ . .

سمارة : وكيف أنسى وقوفى وراء الستارة ساعات طويلة ، ورقادى المتعب تحت السرير ؟

حاول « عامر » جذب الحلقة الحديدية بكل ما أوتى من قوة ، ولكنها استعصت عليه ! . . فقال : إن أحداً لم يمسّها منذ عشرات بل ربما مئات السنين ! أعتقد أننا لن نتمكن من فتحها ! . .

عارف : سنحاول على كل حال . . اصعد يا « سمارة » وأحضر لنا الحبل الذى تسلّقته « سفروتة » من حجرة الأطفال ! . سندخله فى الحلقة ، ونتعاون جميعاً على شدّه . . لعلّنا ننجح ! . .

أتى لهم « سمارة » بالحبل الرفيع . وأدخلوه فى الحلقة ، وتكاتفوا على جذبه ، وكأنهم فى مباراة لشدّ الحبل ! . .

وكما يحدث فى مباريات شدّ الحبل للفريق الغالب حدث للمغامرين أيضاً ! . . فقد انفتحت البلاطة فجأة ، وتكوّم المغامرون بعضهم فوق بعض وهم يتصايحون بعد أن تساقطوا على الأرض المتربة ! . .

نهضوا بسرعة وهم يتسابقون إلى التطلّع داخل الفتحة المظلمة . صوّب « عامر » بطاريته ، فشاهدوا درجاً حجريًّا يهبط إلى أسفل . وكانت رائحة الرطوبة والعفن المتصاعدة تزكم أنوفهم !

عامر : لا جدال فى أن هذا السلّم يقودنا إلى قبو أو مخبأ . . ! سأنزل أمامكم . . اتبعونى . . .

هبط المغامرون الدرج باحتراس شديد ، وقلوبهم تدقّ بعنف من أثر الرهبة والإثارة . . والتطلّع إلى المجهول ! . .

وجدوا أنفسهم – كما كانوا يتوقّعون – يشقّون طريقهم وسط خيوط العنكبوت فى قبو متّسع ، يكتظّ بالصناديق الخشبية المتآكلة ، والبراميل الفارغة ، والبلاليص . . وغير ذلك من المهملات والقاذورات ! . .

سادهم الصمت العميق فترة طويلة ، إلى أن همس « عامر » : ليتنا نسمع الآن تلك الأصوات ! . . لو سمعناها لعرفنا مصدرها ! . .

عارف : ولكنْ لا شىء هنا يدل على وجود مخلوق ! . . فلا أثر لأقدام . . أو أعقاب سجائر . . لا شىء بتاتاً ! . .

سمارة : إذن كيف نصل إلى حلّ هذا اللغز؟

عامر : سأقضى فى هذا القبو ليلة بمفردى . . إذا تكرّرت هذه الأصوات ! . .

عارف : والأفضل أن تهبط إلى هذا القبو . . قبل صدور هذه الأصوات ، حتى تتتبّع آثارها إذا حدثت . !

عالية : لا يا « عامر » ! . . فى ذلك مخاطرة كبيرة . . لنفرض أن أحدهم فاجأك وأنت وحدك ! .

عامر : ما باليد حيلة ! إن لم أفعل ذلك فلن نصل إلى نتيجة ! .

اكتفوا بما رأوه ، وصعدوا إلى فوق ، والسعادة تغمرهم بكشفهم الجديد ، ولكنهم ما كادوا يصلون إلى المطبخ حتى توقفت « عالية » ، وأمسكت بذراع « عامر » وهى ترهف سمعها الحسّاس !

عامر : ماذا بك يا « عالية » ؟ هل سمعت شيئاً ؟ . .

عالية : نعم ، سمعت أصواتاً تتحدّث . . !

سمارة : أصوات مَنْ؟ لا أحد غيرنا فى القصر ! . .

عارف : هذا محتمل ! لأننا أهملنا إقفال الباب الخارجى من الداخل بالمزلاج . . !

عامر : سأذهب لأتحرّى بنفسى . . لا تتحركوا . . !

أطفأ « عامر » بطاريته ، وتسلّل حتى وصل باباً موصداً ينفتح على صالة القصر الواسعة . دفع الباب برفق وأطلّ من

فرجة ضيّقة ، فإذا به أمام مفاجأة مذهلة ، لم يكن أحد من المغامرين يتوقّعها !

كان الشيخ « عمران » يتوسّط الصالة ، وهو يتحدّث إلى شخصين ! وكان « عامر » يستمع إلى حديثهم فى ذهول ، والشيخ يقول لهما : والآن ماذا تستنتجان ؟ . فالقصر يمتلئ بآثار الأقدام ! . . يجب أن نعثر على أصحابها ! . . ومَنْ الذى ترك الباب الخارجى للقصر مفتوحاً ؟ ألا يدل ذلك على أن جَمْعاً غفيراً يستعمل هذا القصر لغرض مريب ؟ . . ومع كلّ ذلك فلم نعثر على شخص واحد داخل القصر . . أو حتى على بصيص من نور يدلّنا على من يدخل هنا ! . .

فأجابه أحد الرجلين قائلاً : لقد عجز عقلنا عن التفكير . . هذا لغز . . على كل حال . . هذا القصر هو المكان . . ولا مكان غيره . ! الوقت أمامنا ضيّق ويجب أن نبدأ فى الحال ! . . هيّا بنا إلى فوق . .

اكتفى « عامر » بما سمع بعد أن تحرك الرجال الثلاثة فى طريقهم إلى الطابق العلوى . وما إن دخل على المغامرين ،

حتى بادروه بالقول : ماذا ؟ هل شاهدت أحدًا ؟ . .

عامر : الشيخ « عمران » . . !

عارف : الشيخ « عمران » ! هذا غير معقول ! . .

عامر : نعم . . هو بعينه . . كان يتحدث إلى رجلين ، تبدو القوّة الخارقة فى أجسامها . . والشراسة فى عيونهما ! إنهم يدبّرون أمرًا ! . .

عارف : كنت أشك كثيراً ، ولكن الآن فقط ثبت لنا أن الشيخ «عمران» ليس مدرّساً ! . . إنه مدرس مزيّف . . !

سمارة : ماذا يهمّنا الآن إذا كان مزيّفا ! أو غير مزيّف ! يجب علينا أولاً أن ننفذ بجلدنا من هذا المأزق قبل أن يكتشفوا وجودنا !

عامر : لقد توصّلنا حتى الآن إلى نتيجة مؤكّدة ! . . وهى أن أشياء غريبة غامضة تجرى فى هذا القصر ! . . وأن الشيخ « عمران » يشترك فيها . .

عارف : أو ربما يكون هو الرأس المدبّر ! . .

عالية : ماذا نفعل الآن لو اكتشفنا هؤلاء الرجال ؟

عامر : سننتهز فرصة وجودهم بالطابق العلوى ، ونغادر هذا المكان فى الحال . . .

عالية : واكتشافنا لهذا القبو . . هل نتركه لهم لقمة سائغة ؟

عارف : يمكننا أن نقفل باب المطبخ بالمفتاح . . ونأخذه معنا ! . .

عامر : كما فعلت الشىء نفسه بحجرة الأطفال . . إنهم لن يتمكنوا من اقتحامها أيضاً ! . .

° ° °

وقد حدث فى هذا المساء ما كاد يقلب خطط المغامرين رأساً على عقب ! . . إذ تلقت « أم محمد » نبأً عاجلاً بضرورة عودتها إلى القاهرة فوراً ، للاعتناء بأختها (الوحيدة) التى أصيبت فى حادث ! . .

انزعج المغامرون لهذا الخبر المؤسف ، وقالت « **عالية** » وهى تواسيها :

نرجو أن تطمئنى عليها قريباً ! . . وماذا نفعل من غيرك يادادة ؟

أم محمد : البَرَكة فى « أم شلبى » . . ولا تنسوا أيضاً الشيخ « عمران » ! فهو رجل عاقل . . متزن . . مسئول . . ويمكنكم الاعتماد عليه !

مسكينة « أم محمد » ! . . إنها لا تعرف ما يعرفه المغامرون عنه ! . وإلا فما كالت مثل هذا الإطراء والمديح على هذا الشيخ المزيّف الغامض ! . ولكن من أين لها أن تعلم ؟

وصل الشيخ على حماره قبل أن تغادر « أم محمد » المنزل ، فأخبرته بما حدث ، وسألته أن ينوب عنها فى رعاية المغامرين حتى عودتها ! . .

رمقهم الشيخ « عمران » بنظرة فاحصة ذات معنى ، وقال وهو يبتسم لهم ابتسامة باهتة : عال ! عال ! من الآن فصاعداً سأتولى أمركم نيابة عن الست « أم محمد » . !

ثم نظر إلى ساعته ، وقال فى حزم : الوقت متأخر . .

حان ميعاد النوم الآن ! . . وأطفئوا الأنوار بعد عشر دقائق من فضلكم . . سنبدأ الدرس غداً كالعادة فى الثامنة صباحاً ؟

انصاع المغامرون وهم يشعرون بالضيق لأمر الشيخ « عمران » ، ودخلوا حجراتهم رغماً عنهم . وكان « عامر » أكثرهم شعوراً بالمضايقة .

وكانت « عالية » تشاركه فى حجرته ، فقال لها : إنى متأكد أن الشيخ سيذهب إلى القصر الآن ومن الأفضل أن أسبقه . . وأنتظره هناك . .

وأخيراً قرر « عامر » أن ينتهز فرصة وجود الشيخ فى حجرة نومه ، وتسلل إلى الخارج . وكانت « عالية » تتشبّث به مستعطفة : لا تذهب يا « عامر » ! . . لم يغمض لنا جفن كلما تذكرنا أنك تنام بمفردك فى هذا القبو المظلم . . وسط الفئران والأصوات الغامضة ! لابد أن أذهب معك ؟

عامر : طبعاً لا يا « عالية » ! . . اطمئنى ماذا يمكن أن يحدث لى ؟ لا شىء طبعاً !

ضيعة أبو العينين »[١] !



« عالية »

استيقظ المغامرون مبكّرين فى السادسة صباحاً ، واجتمعوا فى حجرة « عالية » ، انتظاراً لوصول « عامر » من القصر ، ولكنه لم يصل فى ميعاده المنتظر ! . . وعندما بلغت الثامنة ، استبدّ بهم الخوف والقلق ، وضعف أملهم فى عودته هذا الصباح ! أيكون حدث له مكروه ؟ فليس من عادته أن يخلف ميعاده ! . .

ناداهم الشيخ « عمران » وكان يترأس المائدة ، فذهبوا وجلسوا فى وجوم ، دون أن يتطلّعوا فى وجهه ، أو حتى

(١) ضيعة = (عزبة) .

يقرئوه تحية الصباح ! . .

اندهش الشيخ لهذا التغيير المفاجئ فى سلوكهم ، ولعلامات الاشمئزاز البادية على وجوههم ! مع أنه – فى اعتقاده – لم يبدر منه ما يثير غضبهم عليه ! . .

الشيخ عمران : ماذا بكم ؟ . . مالكم مكتئبين هذا الصباح ؟

أرى أن تصرّفكم غريب ! . . لماذا لم تخبرونى بالحقيقة ، فقد أتمكن من مساعدتكم ؟ أنا لا أرى « عامر » . أين هو ؟

فأجابته « **عالية** » دون أن تنظر إليه : لا ندرى !

عارف : ربما كنت تعرف أنت أين هو يا أستاذ ! . .

الشيخ عمران : وكيف أعرف أنا ؟ ألم ينم معكم فى حجرته الليلة الماضية ؟

يالجرأته على الكذب ! ولكنه معذور . . فهو يجهل طبعاً أنهم كشفوا ستره ! . . وأنهم سكتوا حتى هذه اللحظة عن فضحه ! . . أما الآن وقد اختفى « عامر » فالوضع أصبح

خطيراً . . وآن الأوان لاتخاذ إجراء حاسم ضد هذا الأفاق المزيّف الخطير ! . .

نهض الشيخ « عمران » فجأة ، وقال : سأترككم الآن لحالكم حتى تعودوا إلى طبيعتكم ، فكّروا قليلاً وأخبرونى بالحقيقة .

وبعد أن اختفى عن أنظارهم ، قالت « عالية » : عندى شعور خفىّ بأن « عامر » فى خطر داهم ! . . يجب أن نفعل شيئاً ! . .

سمارة : هلموا بنا إلى القصر ربما عرفنا سرّ تأخره !

عالية : قد يكون فى حاجة إلى معونتنا ! . .

عارف : هذا ليس من الحكمة فى شىء ! . . إذ قد نلحق به ! .

عالية : وما العمل الآن ؟ هل سنتركه هكذا بين يدى الشيخ « عمران » ؟

سمارة : إذن نخطر البوليس عن غياب « عامر » . . وعمّا نعرفه عن هذا الشيخ المزيّف . ؟

عارف : حسناً ! . . ننتظر قليلا فإذا لم يظهر . . فسنخطر عن اختفائه فوراً ! . .

وبينما هم فى حيرتهم إذا « بسفروتة » تقتحم عليهم الحجرة من النافذة ، مؤذنة بوصول « رشدى » ! . .

رحّبوا به ترحيباً حارًّا ، فقد كانوا فى حاجة إلى من يثقون فيه ليبثوه مخاوفهم ! فسألوه عن رأيه فى اختفاء « عامر » ، ونصيحته لهم فيما يجب عمله ! . .

قال « **رشدى** » : اختفاء « عامر » مسألة خطيرة يجب عدم السكوت عليها ! . . وأقترح أن نذهب حالاً لنتعسّس ونتحرّى . . لعلنا نعثر على دليل قد يؤدى بنا إلى اكتشاف مخبئه ! . .

عارف : قد نختفى بدورنا مثل « عامر » إذا دخلنا القصر ! . .

رشدى : لن ندخله ! . . بل سنذهب إلى ضيعة « أبو العينين » وهى فى مواجهة القصر وعلى مسافة قريبة منه ! . . ونستدرج « أبو العينين » نفسه . . فهو أدرى

بما يجرى هناك . . وربما يكون قد شاهد « عامر » وهو يحوم حول القصر ! .

* * *

توجّهوا جميعاً نحو الضيعة وكان « رشدى » يحدّثهم عن « أبو العينين » هذا ، فقال عنه : إنه يملك هذه الضيعة ومساحتها عشرة أفدنة ، ابتاعها بثمن باهظ من صغار الفلاحين قيراطاً فقيراطاً ، وشيّد عليها منزلاً صغيراً « ودوّارًا » ضخماً ، يزدحم بسيارات النقل والجرارات والأوناش ولا أحد يعلم على وجه التحديد مصدر هذه الثروة المفاجئة التى هبطت عليه من السماء .

وصلوا إلى مشارف الضيعة حيث لاح لهم القصر على بعد قليل منهم ، فنظرت إليه « عالية » فى حسرة ، وقالت : لو كان الأمر بيدى لدخلت القصر ، وليكن ما يكون . . ولن أخرج منه بدون « عامر » !

وما كادوا يسيرون بضع خطوات على أرض الضيعة حتى فاجأهم « أبو العينين » بمنظره الكريه ، وهو يخرج عليهم من

بوّابة الدوّار الواسعة ، ويصيح عليهم فى شراسة : ابعدوا عن هذه الأرض ! . . أتسمعون . . اخرجوا حالاً وإلاّ أطلقت عليكم كلابى المتوحشة !

وقبل أن ينتهى من تحذيره – شاهد المغامرون ثلاثة كلاب حراسة ضخمة . . تكشّر لهم عن أنيابها ، وتنبح عليهم نباحاً مخيفاً ! . .

فصاح **عارف** : جئنا لنسألك عن . .

أبو العينين : اغربوا عن وجهى . . وإلاّ . .

عارف : حسناً ! . . سنذهب ! . .

لم يجدوا فائدة تُرجى من وراء سؤال هذا الرجل الفظّ ، فهرولوا مسرعين خارج أرضه خوفاً من مهاجمة الكلاب المفترسة لهم . وبينما هم فى طريقهم أمام بوّابة القصر الخارجية – إذا بمفاجأة (ثانية) مذهلة كانت فى انتظارهم !

وكانت هذه المفاجأة فى شخص الشيخ « عمران » وهو يقف أمام البوابة الحديدية . . يتفرّس فى القصر بدقة واهتمام ! . .

ذُهل الشيخ عند رؤيتهم . . كما ذهلوا هم لرؤيته ! فقال الشيخ بعد أن ذهبت عنه الدهشة والمفاجأة : لم أكن أنتظر أن أراكم هنا ! . .

عارف : ولا نحن أيضاً ! . . وما الغرابة فى ذلك ؟

ماذا يصنع الشيخ « عمران » فى هذا المكان ؟ . . أيكون قد تتبّع خطاهم ، أم أنه يعلم بمكان اختفاء « عامر » ؟

نظر الشيخ إلى ساعته ، وقال : لقد تأخّر بنا الوقت . . . يحسن بنا أن نعود معاً إلى المنزل . . ولكن أين « عامر » ؟ أهو ليس معكم ؟

عارف : لا . . لابد أنه فى مكان قريب ! . . ألمْ تَرَه ؟

الشيخ عمران : لا ، لا . . قد تجدونه فى انتظاركم بالمنزل بعد عودتكم ! . .

وكان الظلام قد خيّم عند وصولهم إلى المنزل . ومع ذلك فلم يكن « عامر » قد ظهر بعد !

دخل الشيخ « عمران » حجرته مباشرة دون أن يتحدّث إلى المغامرين بحرف واحد ، وكانوا ينتظرون منه أن يهم

بالسؤال عن « عامر » ، أو يبدى قلقه على الأقل على غيبته الطويلة ! . . ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك !

اجتمع المغامرون حول المائدة للتشاور فى لغز اختفاء « عامر » ! فقال « عارف » : لقد خرجت المسألة من أيدينا وليس أمامنا الآن إلاّ إبلاغ البوليس . . وخاصة بعد أن تأكّد لنا اشتراك هذا الشيخ المزيف فى هذه الجريمة ! . . إذا لم يظهر « عامر » هذه الليلة . . فسنبلغ عن اختفائه غداً فجراً ! وهذه مهمتى . .

• • •

نام الجميع ، عدا « عارف » الذى ظلّ ساهراً لا يغمض له جفن . وعندما انتصف الليل ، شعر بحركة خفيفة ، وبصوت الباب الخارجى للمنزل وهو يُفتح ويُقفل برفق ! . .

فأطلّ من نافذته على الحديقة ، فرأى شبحاً يتسلّل فى ضوء القمر ! . . وعندما تيقن صاحبه ، صدرت عنه صيحة مكتومة ! . فلم يكن « عامر » . . بل كان الشيخ

« عمران » ! فى طريقه إلى إحدى جولاته الليليّة السريّة الغامضة ! . .

أَعْمَل « عارف » فكره بسرعة البرق ، وقرّر أن يتعقّب خطاه . . علّه يقوده إلى « عامر » ! . .

لم يتسع الوقت أمام « عارف » ، فتسرّب وراءه كما هو ببيجامته ، وهو حافى القدمين ، خوفاً من أن يفقد أثره ! . .

قطع شوطاً بعيداً ، وهو يسير عن كثب وراء الشيخ وسط المزارع ، والأشواك والأحجار تدمى قدميه العاريتين ! ولكنه كان يتحمّل هذه الآلام بصبر وجلد وشجاعة إلى أن توقّف الشيخ فجأة ، وبرز له رجلان من وسط الشجيرات . .

وكان « عارف » يقترب منهم ، وهو يرهف سمعه وسط سكون الليل الرهيب ، ولكنه لم يتمكن من الاستماع إلى كلّ حديثهم . وكلّ ما وصله من همسهم ، هو بعض الجمل القصيرة المتقطعة ! . .

قال **أحد الرجلين** : لقد قبضنا عليه ! . . ولكنه لا يتكلم ! . .

وقال **الرجل الآخر** : هذا المخبأ « لا يشك » فيه أحد !

وأخيراً تعرّف على صوت الشيخ « عمران » وهو يقول :
إذا اكتشف هؤلاء الصغار الأشقياء الذين أدرس لهم ما نعمله هنا . . فستتسرب الأخبار . . ونفشل فى مهمتنا !

تجمّد الدم فى عروق « عارف » عندما سمع الجملة الأخيرة ! لا شك أن أخاه المسكين « عامر » قد وقع فى أيديهم ! . . وأى مخبأ هذا الذى يتحدثون عنه ؟ . . هذا المخبأ الذى لا يشكّ فيه أحد ! أهو القصر المهجور ياترى ؟

اكتفى « عارف » بما سمع ، بعد أن رأى الرجال الثلاثة وهم يسيرون فى طريقهم إلى القصر المهجور ! . . إنه يعلم الآن عن الشيخ « عمران » ما يكفى أن يلقى به مع أعوانه فى غياهب السجون ! ورجع إلى المنزل بعد أن تهرّأت قدماه ، وسالت منها الدماء ، ودخل مخدعه ونام حتى الصباح . . .

الشيخ المزيّف !

كان أول ما فعله « عارف » عندما استيقظ فى الصباح ، هو أن أطلع « عالية » و « سمارة » على مغامرته الليلية وسط المزارع مع الشيخ « عمران » ، وبالحديث الهامس الخطير الذى جرى بين الشيخ وأعوانه ! . .


« الشيخ عمران »

وكانت « عالية » . تستمع إليه وهى تبكى ، وترتجف من الخوف على حياة أخيها « عامر » . . الآن انقلب الشكّ فأصبح يقيناً ! ! إن حياة « عامر » أصبحت فى كفّة ميزان !

عالية : أسرع يا « عارف » وأبلغ النقطة ! . .

عارف : مهلاً يا « عالية » . . الشيخ رجع من مهمته

الغامضة قرب الفجر ، وهو الآن فى حجرته يغطّ فى نومه . . لقد تيقنت ذلك . . يجب علينا الاحتراس تجنُّباً لإثارة شكوكه ! . .

سمارة : هذا صحيح . . فالشيخ أصبح بين أيدينا ! . . فإذا لم نحسن التصرّف طار العصفور من القفص ! .

عارف : وخطتى بسيطة . . سأذهب إلى النقطة فى الساعة الثامنة . . وعليكما متابعة الاستماع إلى الدرس بكل هدوء مع الشيخ كالعادة . .

عالية : وإذا سألنا عن غيابك !

سمارة : سنقول : إنه ذهب ليقطف بعض حبّات البرتقال من الحدائق ! . . . والشيخ سيرحّب بذلك فهو يحبّ البرتقال ! . .

عارف : فكّروا فى أى سبب . . هذا لا يهم . . وسأرجع مع ضابط النقطة ، ونفاجئه هنا قبل أن يتحرك ! . .

عالية : يالها من مفاجأة لن ينساها الشيخ مدى حياته . . !

كان الشيخ « عمران » بنهمك فى إلقاء الدرس ، وهو يختلس النظرات إلى وجه « عالية » الشاحب الممتقع . وإلى « سمارة » الذى كان يعجز عن إخفاء علامات القلق . . والتأفف والتبرّم من هذا الرجل الجرىء ، الذى يجلس أمامه . . متصنّعاً البراءة والسذاجة . . !

وما إن حانت التاسعة والنصف ، حتى سُمع صوت طرق عنيف على الباب الخارجى . فأصابت الرعشة بدن « عالية » ، وتبادلت النظرات و « سمارة » ! أهذا الطارق هو « عارف » بصحبة رجال الأمن ؟ . . هل حان الوقت أخيراً للتخلّص من هذا المحتال الدجّال والعثور على « عامر » . .

فتحت « أم شلبى » الباب ، وإذا « بعارف » يدخل الحجرة يتبختر مزهوًّا . ومن ورائه دخل ضابط مسلّح صغير الرتبة ، يصحبه جندى ! . .

ظهرت الدهشة على وجه الشيخ « عمران » ، ولكنه لم يتحرك من مقعده ، ولم يحفل عند رؤيته لضابط البوليس . . كما كان يتوقعه المغامرون !

نظر الشيخ إلى « عارف » وقال : ما هذا يا « عارف » .. هل حدث لك مكروه ؟ ..

عارف : لا .. فأنا بخير والحمد لله ..

وهنا تدخّل الضابط وقال : المسألة يا سيدنا الشيخ هى أن هذا الشاب جاءنى هذا الصباح ، وقدّم لى بلاغاً باختفاء أخيه المدعو « عامر » منذ يومين .. وهو يعتقد أن لك يداً فى هذه العملية ! فما أقوالك ... ؟

الشيخ عمران : ماذا تقصد يا « عارف » بهذا السخف والعبث ؟ ..

عارف : لا داعى للإنكار يا أستاذ ! .. نحن نعرف الكثير عن جولاتك المشبوهة .. وعن دخولك القصر المهجور .. وعن مقابلاتك لأعوانك تحت جنح الظلام ! أنت تدبّر مؤامرة خطيرة فى هذه الناحية ! .. وإن كنّا لا نعلم تفصيلاتها ، ولكنها تتعلّق باختفاء « عامر » بكل تأكيد ! !

الضابط : وهذه التهم تحتاج منك إلى بعض الإيضاح وخاصة تهمة تهجّمك على قصر « عباس أغا » ! .. هذه

تهمة خطيرة ! ..

صمت الشيخ « عمران » ، وقطب جبينه .. وظهر عليه العبوس ، وحدج « عارف » بنظرة قاسية . ولكنْ « عارف » لم يأبه به ! ..

وقال عارف : والآن .. ما رأيك فى كل ذلك أيها الشيخ المزيّف ! ..

وهنا ساد الصمت قليلاً فى انتظار ردّ الفعل المنتظر من الشيخ المزيّف !

* * *

تركنا « عامر » قبل ذهابه إلى القصر مع « روميل » ، وكان يطمئن « عالية » ، ويهوّن عليها من خطورة مغامرته ، قائلاً : ماذا يمكن أن يحدث لى ؟ لا شىء طبعاً !

دخل القصر ، وصعد إلى حجرة الأطفال ليحضر بطانية ووسادة يرقد عليهما فى القبو العارى . وبالرغم من أنه سبق أن أغلق حجرة الأطفال بالمفتاح ، وأخذه معه ، فإنه وجد بابها محطّماً .. وأثاثها مبعثراً ! .. إن يدًا عبثت فى الحجرة ،

وقلبتها ظهراً على عقب . . !

من تكون غير يد الشيخ « عمران » ؟ ما الذى يبحث عنه هذا الرجل الغامض ياترى ؟

هبط السلّم فى طريقه إلى القبو . وكان يدقّق النظر على ضوء بطاريته عن آثار أقدام غريبة ، ولكنه لم يعثر على جديد ! . إن أحداً لم يعثر بعد على هذا القبو ! . . هذا شىء مطمئن على أىّ حال ! . .

وكان « روميل » يزمجر ويتردّد فى الدخول وهو يلتصق بقدمى « عامر » . إن الحال لم تعجبه بحال فى هذا القبو الرطب المظلم ! . . ولم يكن « عامر » أحسن منه حالاً ، فأخذ يسرّى عن نفسه بالحديث إلى كلبه : تشجع يا « روميل » ! . . نحن لم نأت هنا للنزهة ! . . هذه مغامرة نرجو أن تمرّ بنا على خير !

انتقى مكاناً فى ركن من القبو ، وقبع داخل صندوق خشبى فارغ ضخم ، انتظاراً لما سوف تتمخض عنه المفاجآت ! . . وكان فى نيّته أن يظلّ ساهراً حتى تأتيه تلك

الأصوات ، لعلّه يتعرّف على طبيعتها ، أو يكتشف مصدرها ! . .

ولكن ما حدث على غير انتظار لم يفسح المجال أمامه لذلك ، أو حتى للتفكير فى النجاة بجلده . . !

فقد سمع أصوات وقع دبيب أقدام فوق رأسه ، وحديث يجرى فى حجرة الغسيل :

– أين ذهب هذا الشقى ؟ هل بخر فى الهواء ؟

– ولكن أين ؟ لقد تعقبناه إلى أن اختفى عنا ! . . إذا اكتشف هذا الولد أمرنا هلكنا . . !

– نحن نضيّع وقتنا . . ربما خرج من القصر . . هيا بنا ! . .

ولكن لسوء حظ « عامر » العاثر ، لم يملك « روميل » نفسه فى هذه اللحظة عن النباح ؛ ظنّاً منه أنه سيخيف بنباحه القوى المتواصل هؤلاء الغرباء الدخلاء ، ويبعد الخطر عن سيده !

استسلم « عامر » إلى قضائه ، فما الفائدة من المقاومة بعد

أن فضحه كلبه الأمين ، وانتظر فى هدوء قدوم هؤلاء الرجال ! . . وإذا ببلاطة القبو تُفتح . . وبشعاع كشّاف قوى يضىء أرجاء القبو . . وبصوت أجش يناديه : اصعد أيها الشقىّ فى الحال أنت وكلبك . . وإلا فسنسدّ عليك هذه الطاقة ، لتبقى هنا حبيساً إلى الأبد !

صعد « عامر » فى استسلام ، فتلقّفه الرجال بلهفة ، حيث أوثقوا يديه ، وكمموا فمه ، وحجبوا عنه الرؤية بمنديل كبير عصبوه حول عينيه !

سار معهم على غير هدى ، وهم يدفعونه أمامهم بقسوة وغلظة . لم يكن يدرى إلى أين يذهبون به ، ولا ما هو مصيره ، ولكنه أدرك على كل حال أنه غادر القصر ، وأنه يتعثّر الآن فى السير فى الخلاء ! . . وأخيراً وصلوا به إلى مكان أدرك بذكائه أنه مخزن كبير ! فقد زكمت أنفه رائحة قش الأرز و « الدّريس » ، تمتزج برائحة دخان زيت « الديزل » ! . . لابد أن يكون لسيارة نقل كبيرة أو جرّار !

ولم يشعر « عامر » بعد ذلك ، إلاّ بأن الرجال يوقفونه

فجأة ، بعد أن التصقوا به ويحيطون به من كل جانب ، وبالأرض تحت قدميه تتحرك إلى أسفل ، حيث أخذ يهبط فى بطء ! . . ما هذا ؟ أهو مصعد ؟ مستحيل ! . . فمثل هذا الصوت المجلجل لا يصدر عن مصعد ! . .

وكانت الجلبة والضوضاء تعلو وتزداد كلّما توغّل فى الهبوط ، حتى أصبحت تصمّ الآذان ! . . وكان أبرزها صوتاً مدوّياً لجسم صلب ثقيل يُلقى على الأرض ، يكاد يدكّها دكّاً ! . . إنه يشبه تلك الأصوات المفزعة التى كانت تصله فى القبو ! . . أيكون هذا مصنعاً ؟

وعندما توقف الهبوط تقدم منه رجل وفك وثاقه . . وتطلع « عامر » حوله وهو يفرك عينيه من تأثير الأضواء الكشافة الباهرة التى غمرت المكان الواسع ، فأخذته الدهشة والعجب من المنظر الذى انجلى أمامه فجأة ! مستحيل أن يوجد مثل هذا المكان فى هذه الناحية ، ولا يعلم بوجوده أحد !

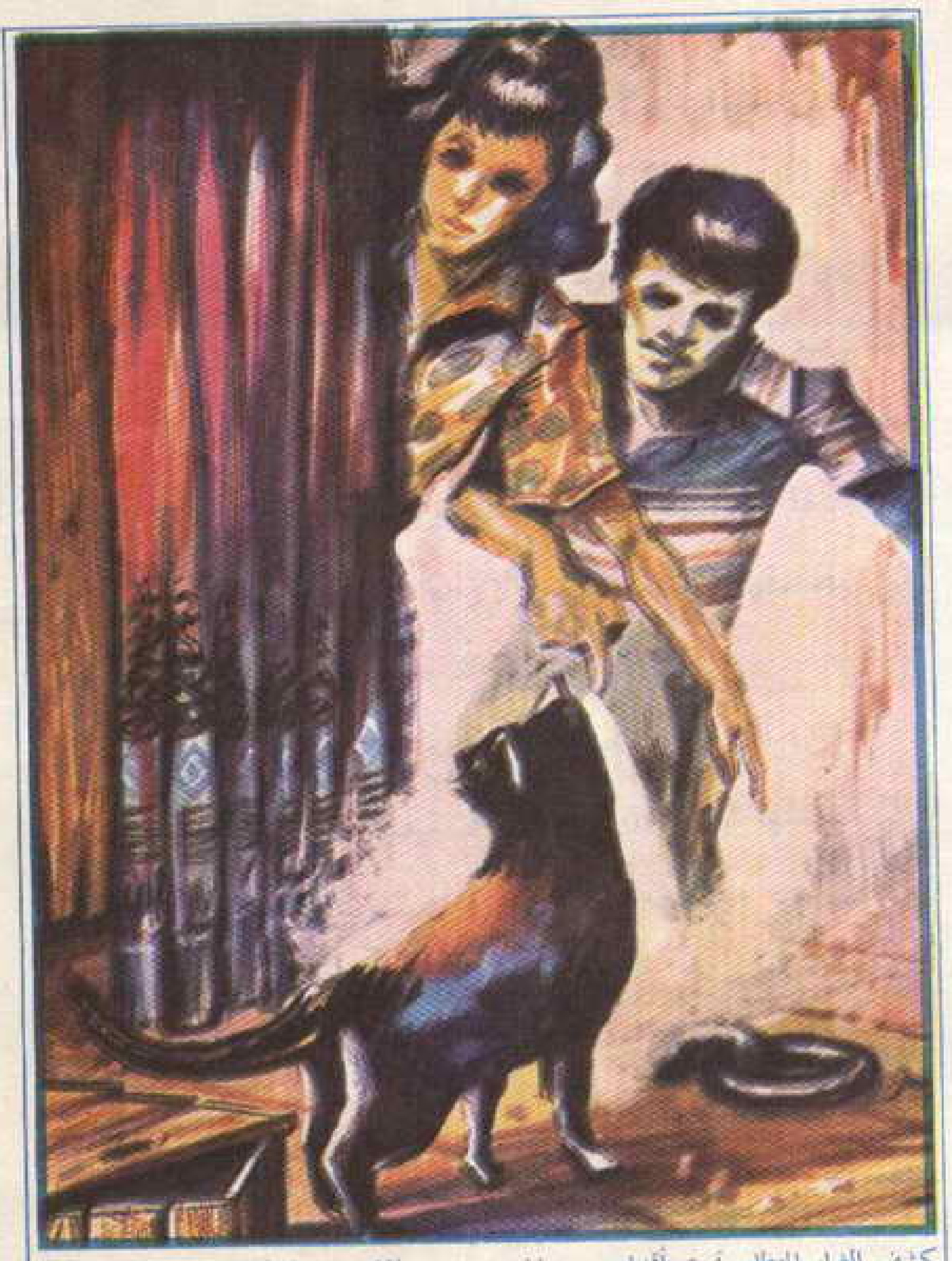
كانت الأوناش تعمل بهمة فى نقل الصناديق الضخمة

من مكان إلى مكان ، حيث يتولى نفرٌ من الرجال تفريغها ، وتصنيفها ، وترتيبها فى حجرات مستقلّة ! . .

وكان « عامر » يقف مشدوهاً وبجواره « روميل » وهو لا يفقه شيئاً مما يجرى حوله ! .. إلى أن أفاق على الصوت الأجش وهو يصرخ فيه : ماذا تنتظر ! . . تقدَّم وساعد الرجال . . وافعل ما تؤمر به ! . . هل تظن أننا سنطعمك لوجه الله ؟

لم يكن أمام « عامر » إلاّ الانصياع إلى الأوامر . فتقدّم إلى صندوق ضخم ، فوجده يمتلئ بأتواب « الكستور » ! وإلى صندوق ثان فإذا به يفيض بأجولة الأرز . . وثالث بالأسمنت . . والسّكر . . والدقيق . . وغير ذلك من المواد التموينية الأساسية . .

كان المخزن الواسع يكتظ بالبضائع التى قدّرها « عامر » بملايين الجنيهات ! ولكن لماذا يلجأ مثل هؤلاء الرجال إلى العمل فى الخفاء ، وإلى تخزين مثل هذه السلع فى مكان يحيطونه بالسرّية التامة ؟ . هذا لغز تحير فيه « عامر » !



كشف الغبار المتطاير تحت أقدام « مرجان » . عن حلقة حديدية فصاحت « عالية » من الفرح : انظروا . . لقد كشف لنا « مرجان » عن شىء عجيب ! ! . .

ولكن ليس هذا ما كان يشغل بال «عامر» فى هذه اللحظة !

أمّا ما كان يفكر فيه فهو فى طريقة للفرار من هذا المعتقل الكبير . . !

ولكن مادام هؤلاء الرجال ، وتلك السلع المكدسة ، تتسرب إلى داخل هذا المخبأ فلابد أن يكون له مخرج ! إنه سوف يعثر عليه إن آجلاً أو عاجلاً . . !

يالها من قصة خيالية ، تشبه الأفلام السينمائية ! إن أحداً لن يصدقها عندما يحين الأوان لروايتها ! . .

* * *

كان الشيخ «عمران» يستمع فى صمت إلى الاتهامات التى يكيلها له «عارف» ! ثم نهض من مقعده فى بطء ، ووقف فى مواجهة الضابط منتصب القامة !

ياللعجب ! . إن الشيخ يبدو الآن مختلفاً عمّا كان عليه منذ دقيقة واحدة ! . . إنه يبدو الآن فى عيون المغامرين أكثر طولاً . . ومهابة . . وجلالاً . . حتى نبرات صوته تغيّرت إلى

لهجة الآمر صاحب السلطة ! كيف لم يتنبّهوا إلى ذلك من قبل ؟

دسّ الشيخ « عمران » يده فى جيب قفطانه ، وأخرج منه شيئاً قدّمه إلى الضابط !

وماكاد الضابط يتفحص هذا الشىء حتى اعتدل فى وقفته ، وأدّى التحية العسكرية للشيخ « عمران » ! وقال : آسف يا أفندم . . لم أكن أعلم بذلك ! . . القيادة لم تخطرنا بحضورك ! . .

الشيخ عمران : نحن تعمّدنا ذلك حتى لا تتسرب الأخبار محليًّا ! يمكنك الانصراف . . وسأتولى الأمر بنفسى . . !

انصرف الضابط ، وترك المغامرين وراءه فى حيرتهم وارتباكهم !

جلسوا أمامه فى صمت ورءوسهم منكّسة من الخجل والخزى !

وقال **الشيخ عمران** : وهكذا كنتم تتجسّسون علىّ من

وراء ظهرى ! لا أدرى لأى سبب ؟ . . لماذا لم تفاتحونى رأساً بمتاعبكم بدلاً من الاستعانة بالبوليس . ؟ أخبرونى . . ماذا تعرفون بالضبط ؟

لم يجبه أحد عن هذا السؤال ، ولكن « عارف » سأله : ما هذا الذى أظهرته للضابط يا أستاذ ؟ . .

الشيخ عمران : بطاقة تحقيق شخصية بوظيفتى فى المخابرات العامة ! فأنا مكلّف بإجراء تحريات على جانب كبير من الخطورة والأهمية والسرية فى هذه المنطقة ! . .

ثم ابتسم لهم الشيخ « عمران » وقال : وأؤكد لكم أنى لست بالشرّير الذى ظننتموه !

فأجابه « عارف » وهو يتصبب عرقاً من الخجل : نحن نأسف يا أستاذ ! وما ذهبت إلى النقطة وأبلغت عنك إلاّ لقلقنا على مصير « عامر » الذى اختفى فجأة ! . .

الشيخ عمران : أنا أعلم أنكم كنتم تجوسون وتتعسّسون فى هذه المنطقة مثلما كنت أفعل أنا ! . . وربما كنتم أيها الأشقياء تعرفون أكثر مما أعرف ! . . فلماذا لا نضمّ جهودنا ونتكاتف

معاً ؟

ثم ضحك الشيخ « عمران » طويلاً وقال : أعترف بأننى كنت شيخاً مزيفاً ! . . فأنا لست مدرّساً ! . . والمسألة أن المخابرات أرادت أن أقيم قريباً من موقع التحرّى ، فاتصلت بالشيخ « عبد الصمد » وأقنعته بأن يتنحّى عن مهمة التدريس لكم عندما بلغها ذلك ! وأن أحلّ أنا محلّه ! . . فقَبِل ! . .

سمارة : يعنى الشيخ « عبد الصمد » لم يقع من على حماره . . وتُكسر ساقه !

الشيخ عمران : إنه سليم مُعَافَى . . وهذه حكاية روّجتها المخابرات ! . .

فابتسم « **عارف** » وقال : كنا نشك فيك منذ الدرس الأول . . لأنك تخطئ كثيراً فى النحو يا شيخ « عمران » !

عالية : وجبّتك وقفطانك وعمامتك كلها جديدة أنيقة . . لا تتناسب هى ومدرسٌ فى الأرياف ! . .

سمارة : وزياراتك المتكررة . . وجولاتك الغامضة طول

اليوم ! . .

لقد تحرّينا عنك ، فوجدنا أنك غريب عن سنديون ، ولا أحد فيها يعرفك . . فأين كنت تقضى وقتك ؟ .

الشيخ عمران : كل هذا صحيح . . يالكم من عفاريت ! كيف فاتنى أن أتحرى عنكم قبل أن أقدم على مهمة التدريس لكم ؟ . . إنكم تكوّنون شعبة صغيرة للمخابرات فى سنديون !

وإذا « بعالية » تقول فجأة : كل هذا لا يعنينا فى شىء ! ما يهمنا هو أين « عامر » . . ! . .

سكت الشيخ « عمران » ، وأخذ يفكّر طويلاً ، ثم قال : أصارحكم القول بأن « عامر » فى خطر ! . . ولكن لا تخافوا . . فنحن جادون فى البحث عنه . . وقد مسكنا بطرف خيط قد يقودنا إلى مكانه ! . .

عارف : سمعت أحد أعوانك وهو يتحدث إليك ليلاً وسط المزارع ! فماذا كان يقصد بقوله : لقد قبضنا عليه . . ولكنه يرفض الكلام ! وما هذا المكان الذى يصلح أن يكون

مخبأً أميناً لايرتاب فيه أحد ؟

عالية : هل قبضتم على « عامر » ؟

الشيخ عمران : لا ، ولماذا نقبض على « عامر » ؟ . . لقد قبضنا على شخص يدعى « أبو العينين » على كل حال هذه مسألة خطيرة لا دخل لكم فيها ! . .

عالية : «أبو العينين» ! ! هذا الرجل الشرس الذى يقيم فى مواجهة القصر !

سمارة : والذى أطلق علينا كلابه المتوحشة . . وطردنا من أرضه ! . .

الشيخ عمران : نصيحتى إليكم ألا تقربوا هذه الضيعة مرة أخرى ! . .

عارف : لماذا ؟ . . هل هناك علاقة بين هذه الضيعة . . وهذا القصر بأحداثه الغامضة . . وبين اختفاء « عامر» ! . .

الشيخ عمران : لا شأن لكم بذلك ! . . أرجوكم ألاّ تتدخّلوا وإلا أفسدتم علينا خططنا .. وأصابكم من وراء

ذلك ضرر بليغ ! . .

سكت المغامرون على مضض ! كيف لا يهتمّون ؟ وكيف لا يتدخّلون والمسألة برمّتها تخصّ « عامر » ؟ . . إن كل ما يعنيهم فيما يجرى حولهم هو إنقاذ « عامر » . . ولا شىء سواه !

إنه دخل القصر ولم يخرج منه . واختفت آثاره بعد ذلك ! . .

إذن فهو داخل القصر ! هذا أمر بديهى ! . . أما أين بالضبط . . فهذا لغز عليهم أن يميطوا عنه اللثام . . مهما كلّفهم ذلك من أمر .

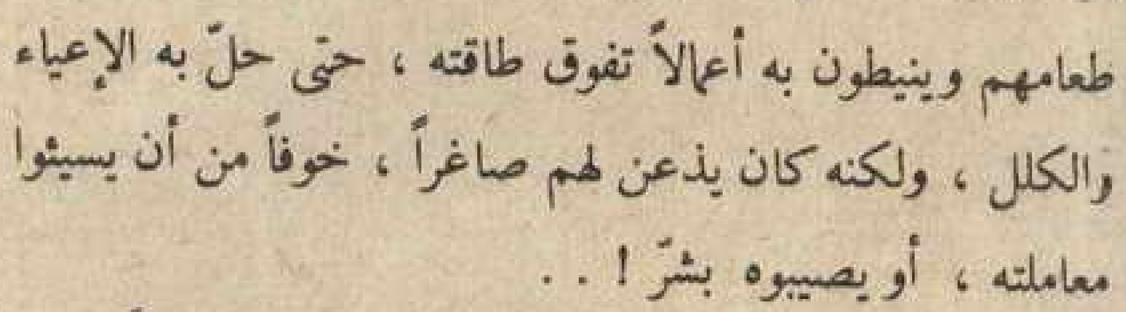
وأخيراً قال لهم الشيخ «عمران» : سأستمر فى انتحالى لشخصية الشيخ « عمران » ! . . وفى إلقاء الدروس عليكم كالعادة ، وكأن شيئاً لم يحدث . . درءاً للشبهات إلى أن تنتهى مهمتى ! وتذكروا دائماً . . أنا بالنسبة إليكم .. الشيخ « عمران » !

الكشف الخطير !



«عامر»

مضى يومان على «عامر» وهو محتجز فى المخزن السرّى الكبير ، لا يميّز ليله من نهاره ؛ إذ كان قد ترك ساعته فى المنزل قبل ذهابه إلى القصر. وكان الرجال يستغلّونه إلى أقصى حدّ ، ويتفضّلون عليه ببقايا



طعامهم وينيطون به أعمالاً تفوق طاقته ، حتى حلّ به الإعياء والكلل ، ولكنه كان يذعن لهم صاغراً ، خوفاً من أن يسيئوا معاملته ، أو يصيبوه بشرّ ! . .

وكان أشدُّ ما أثار دهشة «عامر» وحيرته حديثاً يجرى بحرّية بين رجلين من آسريه ، فلا أحد من هؤلاء الأشقياء كان يعبأ بوجود هذا اليافع الصغير بينهم ! وكان نص

الحديث العجيب كالآتى :

– علمت أمس أن البوليس قبض على «أبو العينين» !

– ياللمصيبة ! . . ما العمل لو أجبروه على الاعتراف ؟

– «أبو العينين» رجل شهم ! لن يتكلم حتى لو شنقوه ! وطالما لا يتكلم فنحن فى أمان . . لا يمكن حتى للشيطان نفسه أن يكتشف مخبأنا !

– وهل سنستمر فى هذا العمل ؟ . .

– طبعاً . . كيف نتوقّف الآن ؟ . . لقد كلّفتنا هذه البضاعة مليوناً من الجنيهات ! سنبحث عن مكان آخر بعد أن نتخلص بسرعة من هذه الدُّفعة ! . .

فهم «عامر» ما فيه الكفاية من خلال هذا الحديث العابر. أدرك أن «أبو العينين» صاحب الضيعة المواجهة للقصر ، زعيم خطير لعصابة تعمل فى تهريب السلع التموينية الهامة ، وتخزينها فى هذا المخبأ للإتجار بها فى السوق السوداء فى الوقت المناسب ! . .

كما أدرك أيضاً أن «أبو العينين» لم يحصل على هذه

الضيعة إلا لوقوعها بجوار القصر المهجور ! . . وأن هناك علاقة بين القصر والضيعة ، يستغلها هذا الشقىّ فى مآربه الخاصة ! . . لقد تأكّد له الآن أنه سجين فى مكان ما – ربما كان قبواً أو سرداباً – تحت القصر الأثرى ! . أما أين مدخله فهذا ما يجهله ؟ لأنه اقتيد إليه مغمض العينين ؟

ولكن ما كان يشغل باله حقيقة هو التفكير فى إخوته . لابد أنهم الآن فى حالة يرثى لها من الكرب والخوف على حياته ! . . والشيخ « عمران » أيضاً ! . . أين هو ؟ . . إنه كان ينتظر أن يلاقيه مع هؤلاء الرجال ! . . إنه يعتقد أنه الرأس الكبير الذى يخطّط لهذه العملية المشبوهة !. . وأنه يتولّى قيادتها من الخارج ! . . هذا هو الأرجح لعدم ظهوره حتى الآن فى المخبأ ! . .

كم كان يتمنّى الآن لو قابل الشيخ وجهاً لوجه ! . . إنه سوف يصارحه برأيه فيه . . مهما كانت النتيجة ! . . ولكنه لو علم برأى إخوته فى الشيخ « عمران » فى هذه اللحظة بالذات لعَدَل عن التفكير فى ذلك ! . . ولكن من أين له أن

يدرى بما حدث من مفارقات عجيبة فى أثناء غيبته القصيرة ؟

* * *

اجتمع الشيخ « عمران » والمغامرون على مائدة العشاء ، وأخذ يحدثهم فى شأن اختفاء « عامر » ، فقال : « عامر » اختفى لأنه دسّ أنفه فيما لا يعنيه ! . . إنكم تجهلون حتى الآن ما يجرى فى هذه المنطقة من أحداث خطيرة ! . .

عارف : أيكون « عامر » قد اكتشف شيئاً من هذه الأحداث ، ولو عن طريق الصدفة ! فوقع فى كمين ! . .

الشيخ عمران : هذا محتمل . . ولكنى أرجو ألاّ يتحقق ظنّك ! مهمتنا العاجلة الآن هى العثور عليه قبل فوات الأوان ! . .

عالية : يجب أن نبدأ بالبحث عنه فى القصر أولاً . . « عامر » دخل القصر ولم يخرج منه ! . إن قلبى يحدثنى أنه مازال مختفيا فى مكان ما بالقصر !

الشيخ عمران : ولكنى فتّشت القصر بنفسى مراراً ، ولم أترك فيه حجراً إلاّ قلبته ! . . فلم أعثر على ما يثير

الشبهة ! . .

عارف : هل فتشت فى القبو ؟ !

الشيخ عمران : قبو ! أىّ قبو ! . .

سمارة : القبو الذى اكتشفه « مرجان » عندما كان يطارد فأراً . .

الشيخ عمران : أين هذا القبو ؟ !

سمارة : تحت حجرة الغسيل ! . .

عارف : نحن نظن أنه ربّما دخل القبو ، ولم يتمكن من الخروج منه لسبب نجهله !

عالية : أو فاجأه بعض الأشقياء وأسروه ! . .

الشيخ عمران : هذه مسألة فى منتهى الخطورة ! . . ستذهب معى يا « عارف » فى الحال لتدلّنى على هذا القبو !

وبعد ساعة من العذاب المر ، مرّت على « عالية » و « سمارة » كأنها قرن عاد الشيخ « عمران » مع « عارف » . ولكن لم تكن بهما حاجة لسؤالهما عن « عامر » ؛ إذ كانت النتيجة ترتسم على وجهيهما ! . .

قال الشيخ « عمران » : « عامر » ليس فى القبو ! . .

عارف : ولكنه بات ليلته هناك ! . .

عالية : هل أنت متيقن ؟

عارف : نعم . . وجدنا بطاريته ملقاة بجوار بطانية ووسادة داخل صندوق فارغ ! . .

عالية : فأين هو إذن ؟

عارف : وقع بين أيدى العصابة !

عالية : أى عصابة ؟ قل بسرعة . . كيف عرفت ذلك ؟ . .

عارف : لأننا عثرنا على آثار أقدام كثيرة مختلطة بآثارنا ، لم تكن من قبل !

الشيخ عمران : أعتقد أنه جاء الوقت لأصارحكم بالحقيقة ! . . فالمخابرات تتعقب منذ زمن طويل آثار عصابة كبيرة تعمل فى تهريب السلع التموينية وتخزينها ، ثم بيعها بعد مدة فى السوق السوداء . . وهذا من شأنه خلق أزمة خطيرة فى الأمن الغذائى للسواد الأعظم من الشعب ! . . وتجمعت

لدينا معلومات تشير إلى أن هذه العصابة تتخذ من هذه المنطقة مركزاً لنشاطها الإجرامى غير المشروع ! . . ولكننا مع ذلك عجزنا حتى الآن عن الوصول إليها ، والقبض على أفرادها ! . . وإن كنّا حصرنا شكوكنا فى « أبو العينين » ، بسبب ثرائه الطائل المفاجئ ، واتصالاته المريبة ، وتحركاته المشبوهة ! . . ولكنه عنيد يرفض الكلام ! كما تخلّصنا من كلابه الشرسة ؛ حتى نأمن شرّها ، وتسهل علينا مراقبة الضيعة دون أن تفضحنا بنباحها ! . . .

عارف : ولكن ألا يدلّ اختفاء « عامر » الغامض المفاجئ من القبو . . علاوة على تلك الأصوات المدوية التى تهز جدران القصر – على أن . . .

فقاطعه الشيخ « عمران » قائلاً : وهذا ما توصّلت إليه أخيراً من استنتاج ! . . لابد أن يقع مركز العصابة فى مكان مشترك بين الضيعة والقصر ! . ونحن نركز الآن بحثنا وتحرياتنا فى هذا المكان ، وخاصة بعد أن شاهد رجالى فى منتصف ليلة أمس سيارة نقل ذات مقطورة ، تحوم حول الضيعة ،

ولكنها اختفت عن أنظارهم بغتة فى ظلام الليل وكأن الأرض ابتلعتها ! . . .

• • •

وفى الصباح المبكّر من اليوم التالى جلس المغامرون فى حجرة المائدة فى انتظار الشيخ « عمران » . وماكاد الشيخ يفتح باب حجرته ويطلّ عليهم – وكان الباب فى مواجهة « عالية » – حتى شهقت واتسعت حدقتاها من الدهشة والمفاجأة ! وصاحت : من يكون هذا الرجل . . ؟

التفتوا جميعاً صوب الباب ، وإذا بهم يشاهدون رجلا فتيًّا ، يختلف اختلافاً بيّناً فى هيئته والشيخُ « عمران » . . بقفطانه وجبته ، وعمامته ! . . ياله من رجل وسيم أنيق . . يرتدى بدلة ثمينة حديثة الطراز ! . .

ابتسم لهم الرجل ابتسامة عذبة عريضة ، وبادرهم بقوله : والآن . . حان الوقت لأن أسدل الستار نهائياً على الشيخ « عمران » . . وأُنهى دروس اللغة العربية ، وأخلع عنى لباس التنكّر . . لأبدأ فى العمل الجدّى ! . .

أستودعكم الله مؤقتاً . . على وعد بلقاء قريب مع « عامر » . . !

وبعد أن أفاق المغامرون من دهشتهم صاحوا فى صوت واحد : وما اسمك يا شيخ « عمران » ؟

الشيخ عمران : العقيد « محسن » ! . .

قال هذا وهرول مسرعاً إلى الخارج ، وقبل أن يختفى صوت وقع أقدامه - نظر « عارف » إليهما ، وقال : ماذا ننتظر الآن ؟

سمارة : سننتظر العقيد « محسن » حتى يُحضر لنا « عامر » . . ألم يعدنا بذلك ؟ . .

عالية : ماذا تعنى يا « عارف » ؟ . . قل بصراحة . .

عارف : بصراحة أعنى أننا سنذهب إلى الضيعة . . لنساهم بأنفسنا فى البحث عن « عامر » ، شاء الشيخ « محسن » . . أقصد العقيد « محسن » ، أم لم يشأ ! . . من يعلم ؟ قد نكتشف شيئاً ؟ . .

سمارة : هذه فكرة لا بأس بها . . فالكلاب غير



ابتسم لهم الرجل إبتسامة عذبة عريضة ، وبادرهم بقوله : والآن . . حان الوقت لأن أسدل الستار نهائياً على الشيخ « عمران » . .

موجودة . . . و « أبو العينين » فى السجن ! . . فماذا يخيفنا ؟

عالية : هيّا بنا . . ماذا ننتظر ! . . .

ولم تمض عليهم دقيقة حتى كانوا يتسابقون فى العدو ، حتى وصلوا إلى الضيعة . وهناك توقفوا يتطلّعون ويتصنتون . ولكن السكون والوحشة كانا يخيّمان على المكان ! . .

وكانت « عالية » ترنو حولها ببصرها الحادّ ، عندما أمسكت بذراع « عارف » ، وهمست له : أرى رجلين يَجولان بعيداً حول القصر . . ويتجهان نحونا ! . . .

فنظر « عارف » فى الاتجاه الذى أشارت إليه « عالية » ، وقال : إنهما أعوان العقيد « محسن » ! . . لقد رأيتهما يتحدثان إليه وسط المزارع ! . . لابدّ أن يكون العقيد « محسن » قريباً منهما ! . .

سمارة : إذا ضبطنا هنا فسيغضب علينا غضباً شديداً . . وسيجبرنا على العودة إلى المنزل ! . .

عالية : إذن ليس أمامنا إلا الاختباء فى مكان أمين !

سمارة : أمين ! وهل هنا مكان أمين ؟

أشار « عارف » إلى بناء الدوّار الكبير القريب ، حيث خرجت عليهم كلاب « أبو العينين » منذ أيام ، وقال : لا أرى هنا مكاناً يصلح للاختباء إلاّ هذا البناء . . . فلنجرّب ! . .

وصلوا إلى الدوّار ، ودفع « عارف » بوابته الخشبية العريضة ، فانفتحت أمامهم بسهولة ، وأطلّ برأسه إلى الداخل فى حذر ، وهمس : لا أرى أحدًا ! . .

دخلوا فوجدوا المكان واسعاً رحباً ، أرضيّته مرصوفة بالألواح الخشبية ! وفى ركن منه جرّار ذو مقطورة تمتلئ بقش الأرز . ويتوسّط الدوّار كومة ضخمة من حطب القطن اليابس ملقاة على الأرض !

انتظر المغامرون ساعة وهم فى صمت مطبق . وكان « عارف » يذهب إلى البوابة من وقت إلى آخر ليطلّ منها إلى الخارج ، ولكنه لم يجد أثراً للرجلين ، أو لأى شخص آخر ! . .

وأخيراً قطعت « عالية » حبل السكوت ، ونظرت إلى

« سمارة » ، وقالت : ما رأيك يا « سمارة » ؟ أظن أننا هنا فى أمان !

ولكنها لم تكد تتم جملتها حتى سمعوا صوت حديث ، ووقع أقدام مسرعة نحو البوابة ! . . فأشار « عارف » فى ذعر إلى المقطورة ، وقال : بسرعة ! . . المقطورة سنختبئ تحت قش الأرز ! . .

انفتحت البوابة ببطء ، وتسلّل منها أربعة من الرجال الأشداء ! وكان « عارف » ينظر إليهم خلسة من فجوة ضيقة فى كوم القش ، وقلبه يدقّ بعنف ! . . كان يشعر فى هذه اللحظة بالندم على مجيئه إلى هذا المكان . إذ من المؤكد أن العقيد « محسن » وأعوانه ، يراقبون الضيعة عن كثب ، ولن يلبثوا أن يهاجموا هؤلاء الرجال ! وقد تقوم بينهم معركة ضارية ، تُتبادل فيها الطلقات النارية . وفى هذه الحالة قد تصيب إحداها أخته « عالية » !

أزاح أحد الرجال كوم الحطب اليابس من مكانه ؛ كما رفع الألواح الخشبية من تحته بسهولة ! . . ثم تقدّم الرجال

الثلاثة ، وتجمّعوا فى الموضع الذى أزيلت منه الألواح ، وأعقب ذلك صوت عال مجلجل ، وإذا بالرجال يهبطون ببطء فى باطن الدوّار ! .

وبعد أن اختفوا عن الأنظار — أعاد الرجل الألواح الخشبية إلى مكانها ، وهال كوم الحطب عليها ! . . وهمّ بالخروج من الدوّار . .

ورغماً عن أن الاختناق كاد يصيب المغامرين وهم رقود تحت كومة القش فإنهم شعروا بالارتياح والطمأنينة لخروج هذا الرجل ، وقرب زوال الخطر عنهم ! . .

ولكن أملهم انهار فى مثل هذه الراحة المنشودة عندما توالت الأحداث المثيرة أمام أعينهم على غير انتظار !



فقد انفتحت بوابة الدوّار فجأة ، واندفع منها العقيد « محسن » ، ومن ورائه معاوناه العملاقان ، والجميع يشهرون مسدساتهم !

« عارف »

أخذ الرجل على غرّة ، ووقف مبهوتاً لا يبدى حراكاً بعد أن تجمدت أطرافه من هول المفاجأة ! . . فصاح فيه العقيد « محسن » بصوت مُدَوٍّ فى فضاء الدوّار : لا تتحرّك . . أين زملاؤك ؟

وبعد أن استرد الرجل رباطة جأشه ، تلفّت حوله وقال بهدوء : أنا هنا وحدى كما ترى ! . .

العقيد « **محسن** » : ماذا تفعل هنا ؟

الرجل : أنا أعمل فى خدمة « أبو العينين » فى الضيعة ! . . أمّا أنتم فلا عمل لكم هنا ! . . اخرجوا حالاً ! . .

وعندئذ فاجأه العقيد « محسن » بقوله : أين المخبأ ؟

الرجل : أىّ مخبأ ؟ . .

العقيد « **محسن** » : باسم القانون آمرك أن تدلّنى على المخبأ الذى تخزّنون فيه السلع التموينية . . !

الرجل : لا علم لى بشىء من ذلك ! . . أليس لديكم أهمّ من البحث عن أشياء لا وجود لها ؟ . . لا تتعبوا أنفسكم ! ها هو ذا الدوّار أمامكم فتّشوه . . !

وكان المغامرون يراقبون ما يجرى أمامهم من مكمنهم ، وهم على وشك الاختناق ، فانتهز « عارف » هذه الفرصة ، وأزاح قشّ الأرز ، وقفز إلى الأرض ، ، ومن ورائه « عالية » و « سمارة » ، غير عابئين بغضب العقيد « محسن » لمخالفتهم أوامره بعدم التدخّل فيما لا يعنيهم ! . وصاح « عارف » : نحن نعلم أين المخبأ ؟ . . هنا . . وسط

الدوّار ! . . وشاهدنا ثلاثة من رجال العصابة يهبطون منه إلى باطن الأرض !

جحظت عينا العقيد « محسن » لهذه المفاجأة ، وحدق المغامرين بنظرة انخلعت لها قلوبهم ، وقال : أنتم هنا أيها الأشقياء . . بالرغم من أوامرى المشدّدة ! . .

تقدم « عارف » وهو يبتسم إلى وسط الدوّار ، وقال : هنا . . ولن يخطر لكم على بال أن المدخل تحت هذا الكوم من الحطب ! .

* * *

وتحت التهديد والوعيد كان « عامر » يعمل فى تفريغ البضائع الثقيلة ، وتصنيفها فى صناديقها ، وقد بلغ به الحدّ إلى اليأس من النجاة من هذا المعتقل الحصين ! ولكنه كان يأمل دائماً فرجاً قريباً يأتيه على يد إخوته . إنه يؤمن بشجاعتهم ، وبأنهم لن يتخلّوا عنه فى محنته الرهيبة ! . .

وبينما هو غارق فى همومه — حدث ما لم يكن فى حسبانه ! إذ وصلته أصواتٌ تصرخ عالياً ! ! . وكان أعلى

هذه الأصوات هو صوت الشيخ « عمران » ، الذى ميّزه من بين كل تلك الأصوات جميعا ! . .

أليس هذا عجيباً ؟ ها هو ذا الشيخ « عمران » ، ! إنه وصل لينضم إلى رجاله أخيرًا ! . .

ولكن ما أشد ما أصابه من عجب عندما سمع الشيخ « عمران » وهو يصيح : لا فائدة من المقاومة . . فنحن مسلّحون ! سلّموا فى الحال . . وإلاّ سددنا عليكم هذا المنفذ ، وتركناكم لتموتوا فيه جوعاً ! . .

أصاب الرجال الثلاثة الذعر والهلع ، ووقفوا يتشاورون فى إيجاد مخرج لهم من هذه الورطة ! وكانت مناقشتهم تجرى على مسمع من « عامر » ، وهو يبذل جهده فى السيطرة على « روميل » الهائج . فقال الزعيم : لقد هوجمنا . . ولكننا لن نستسلم . . ولدينا الكفاية من الطعام . .

فأجابه رجل آخر : ولكن إلى متى يكفينا هذا الطعام ! . . أسبوعاً على الأكثر ؟ يجب أن نعترف بالأمر الواقع . . لا خلاص لنا بعد أن وقعنا فى المصيدة ! سأخرج

وأسلّم نفسى ! . .

زعيم العصابة : انتظر قليلاً . . ما رأيك فى هذا الولد المجرم ؟ يمكننا أن نحتفظ به كرهينة ، ونساوم على حياته ! . . أين هذا المجرم الصغير ؟

وما إن سمع « عامر » هذه المؤامرة التى تحاك حوله حتى تسلّل بسرعة البرق ، واختفى داخل صندوق من بين آلاف الصناديق المنتشرة فى ممرات المخبأ الواسع وحجراته . . .

وبينما كان هؤلاء الرجال يبحثون عنه دون جدوى – سمع « عامر» صوت الشيخ « عمران » وهو يصرخ : أمامكم خمس دقائق فقط ، ونسدّ عليكم المنفذ ! أنصحكم بالاستسلام ! . .

وعندئذ توقف الرجال عن البحث بعد أن دبّ اليأس فى نفوسهم من العثور على « عامر » . فقال الزعيم فى استكانة : لا جدوى من المقاومة . . . سنسلّم أنفسنا ! . .

ذهب الرجال الثلاثة إلى (الونش) الذى يستعملونه كمصعد لإنزال البضائع ، وفى دخولهم وخروجهم من

السرداب الكبير . وصعدوا به إلى حيث تلقّفهم العقيد « محسن » واحداً بعد الآخر ، ثم تولى أعوانه وضع القيود الحديدية فى معاصمهم .

العقيد محسن : والآن أين الصبى الذى احتجزتموه مع كلبه ؟

زعيم العصابة : لا ندرى ! . . بحثنا عنه فى كل مكان فلم نعثر له على أثر !

العقيد « محسن » : أنذركم بالعاقبة الوخيمة إذا كنتم أصبتموه بضرر !

وهنا لم تملك « عالية » أعصابها ، فهجمت على المنفذ ، وأطلّت برأسها إلى الداخل ، وصرخت بأعلى صوتها : « عامر » . . « عامر» . . « روميل » . . نحن هنا ! أين أنتم ؟

وما هى إلا برهة قصيرة حتى سمعوا بعدها نباح « روميل » ، وصوت « عامر » الحبيب وهو يصيح : حالاً . . حالاً . . أنا فى الطريق إليكم ! .

انتظروه حول المنفذ ، بلهفة شديدة .. وصبر نافد

وما كاد يهلّ عليهم برأسه حتى هجموا عليه وعصروه فيما بينهم بالأحضان والقبلات ، ودموع الفرح تنساب من عيونهم ! أما « روميل » فكان يقفز فرحاً فوق رءوس الجميع ! . .

وكان أول ما نطق به « عامر » هو : هل أنتم بخير ؟ كنت قلقاً على سلامتكم ! . . أمّا الآن وأنتم بخير . . فأنا جوعان !

وبعد أن انتهت مراسم ذلك الاستقبال الحار نظر « عامر » إلى هذا الرجل الغريب الذى يقف شاهراً مسدسه نحو رجال العصابة ، وقال :

سمعت صوت الشيخ « عمران » . . ولكنى لا أراه بيننا ومن يكون هذا الضابط ؟

فضحك « سمارة » وقال وهو يشير إليه بإصبعه : هذا هو العقيد « عمران » !

العقيد « محسن » : « محسن » من فضلك ! .

ثم نظر إليهم نظرة تحمل كل معانى الإكبار والتقدير ، وقال : لقد سامحتكم الآن على مخالفتكم الأوامر . . فقط لأنكم كنتم أكبر عون لنا فى القبض على العصابة ! . .

أدرك « عامر » للتوّ حقيقة الشيخ « عمران » ، فابتسم له وقال : . . . عقيد « محسن » . . هل تسمح لنا الآن بالبقاء معك ؟

العقيد « محسن » : ولا دقيقة واحدة ! . . انصرفوا إلى منزلكم ، وانتظرونى هناك ، حتى نتصرّف فى هؤلاء الأشقياء ! وإنى أنتظر منكم هذه المرة الطاعة العمياء لأوامرى . . مفهوم ! . .

عالية : مفهوم يا أفندم !

* * *

وفى المساء وصل « رشدى » إلى المنزل ومعه « سفروتة » ، للاطمئنان على سلامة أصدقائه ، بعد أن انتشر نبأ القبض على العصابة فى مديرية « القليوبية » كلها ومساهمة المغامرين فى هذا العمل الخطير !

وكان المغامرون يلتفّون حول العقيد « محسن » ، ليستمعوا إليه وهو يقول : لقد ارتكبت هذه العصابة أخطاء كثيرة ، ولكن غلطتها الكبرى التى كلفتها غالياً هى . . .

قالت « **عالية** » مقاطعة : وماهذه الغلطة الكبرى ؟ .

صمت العقيد « محسن » قليلاً ، ثم نظر إليهم وهو يستغرق فى الضحك ، وقال :

الغلطة الكبرى هى أن العصابة لم تعمل حساباً لأربعة من الشياطين المغامرين الصغار ، فضلاً عن نسناسة وكلب وقطة وببغاء خالفوا أوامر أستاذهم ، وتربّصوا بها حتى أوقعوها فى الفخ !

هذه هى الغلطة الكبرى التى كلفتهم حريتهم وأوقعتهم فى يد العدالة ..

تمت



عامر عالية عارف مرجان

لغز الشيخ عمران

من الشيخ «عمران»... وما الذى أتى به ليلقن المغامرين الثلاثة: «عامر» و«عارف» و«عالية»، وصديقهم «سارة»، أصول اللغة العربية وقواعدها؟!..

وما حقيقة قصر «عباس اغا» الأثرى المهجور. وضيعة «أبو العينين» المشبوهة. والإشاعات المخيفة التى تدور حولها؟

وما دور «سفروتة»، والكلب «روميل»، والقط «مرجان» والببغاء «زاهية» فى كل ذلك؟

أما لماذا زجّ المغامرون بأنفسهم وسط هذه المغامرة الرهيبة، مخالفين بذلك أوامر أستاذهم الشيخ «عمران»؟ فهذا ما سوف تكشف عنه بنفسك فى هذا اللغز!..



دار المعارف

٢٢٠٩٥٣/٠١